صحيح القصص

في العقيدة والمنهج

مع اقتناص الفوائد والدروس منها

تأليف

أبي عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري

حقوق الطبع محفوظة لدار الآثار (القاهرة –مصر)

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بعد؛ فإن خير الْحَديث كتاب الله، وخير الْهَدي هَدي مُحمَّد -صلى الله عليه وآله وسلم- وشرَّ الأمور مُحْدثاتُها، وكل مُحدَثة بدعة وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

وبعد؛ قال السيوطي -رحمه الله- فِي كتابه "تحذير الخواص من أكاذيب القصاص" (ص١١): "... قد استفتيت فِي هذه الأيام فِي رجل من القصاص يورد فِي مجلس ميعاده أحاديث ويعزوها إلى النَّبِي د جازمًا بِها ولا أصل لَها عنه.

بل منها ما اشتهر فِي كتب بعض أرباب الفنون ولا أصل له عند المحدثين، ومنها ما هو باطل مكذوب، من ذلك أنه روى عن النَّبِي ص وكذب عليه.

وحاشاه ص وأستغفر الله قبل إيراده من حكايته.

ولولا الضرورة إلى حكايته لأجل بيان أنه كذب ما حكيته أنه قال لجبريل حين نزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٧]. هل أصابك من هذه الرحمة شيء، فقال: "نعم خلق الله قبلي ألوفًا من الملائكة كلهم يسمى جبريل يقول لكل منهم: من أنا؟ فلا يعرف الجواب، فيذوب فلما خلقني، وقال لي: من أنا؟ قال لي نورك يا مُحمَّد: قل

أنت الله الذي لا إله إلا أنت". إلى آخر ما قال من الكذب أستغفر الله من حكاية ذلك.

فأفتيت بأن هذا لا أصل له وهو باطل لا تحل روايته ولا ذكره، وخصوصًا بين العوام السوقة والنساء، وأنه يجب على هذا الرجل أن يصحح الأحاديث الَّتِي يرويها فِي مجلسه على مشايخ الحديث.

فما قالوا: أن له أصلاً يرويه، وما قالوا: أنه لا أصل له لا يذكره هذا نص الفتيا أولاً فنقل إليه ذلك فاستشاط وقام وقعد" اهـ.

قلت: وفي زماننا هذا ذاع وتفشى حال أمثال هؤلاء القصاص، الذين أشار إليهم السيوطي، بل صار لهم منابر دائمة فِي كثير من وسائل الإعلام الحديثة.

وكثير من هذه الأقاصيص الباطلة المفتراة على الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- تدور حول مسائل فِي العقيدة والمنهج، مِمَّا ساعد على تخلل العقائد الفاسدة والمناهج المبتدعة إلى قلوب العامة نظرًا لشغفهم بمثل هذه الأقاصيص وقربِها من قلوبِهم، فشعرت بواجب محتم على

كاهلي وكاهل من معي على نفس الدرب -درب التوحيد والسنة- ألا وهو استلال الناس من أكاذيب القصاص إلى الصحيح الصافي من القصص الثابتة عن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- والسلف الصالحين وبِهذا نكون راعينا حال الناس وما جُبِلوا عليه من حب القصص، ومن خلاله بثثنا إليهم العقيدة الصحيحة والمنهج القويم، بلا اعوجاج ولا انحراف عن الصراط المستقيم.

وممن قام بجهد فِي هذا الدرب فِي وقتنا المعاصر، الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله- وشاركه طائفة من طلبة العلم فِي سلسلة أجزاء ماتعة بعنوان: "قصص لا تثبت"، فهم بِهذا قد بذلوا جهدًا فِي تحقيق منهج التصفية الذي دعا إليه مجدد هذا الدين فِي هذا القرن العلامة الألباني -رحمه الله-، فأحببت أن أشارك بنصيب فِي تحقيق الشطر الآخر من دعوة العلامة الألباني -رحمه الله-، ألا وهو: منهج التربية، فبعد أن قام إخواننا ومشايخنا -جزاهم الله خيرًا- من خلال مثل هذه السلسلة السابق ذكرها، ومن قبلها سلسلة الأحاديث الضعيفة للعلامة الألباني، وأمثالهما من الكتب والأجزاء الحديثية، فِي كشف عوار كثير من القصص الباطلة، أحببت أن أضرب بسهم

فِي سد ثغرة الجانب الآخر، بتوفير مجموعة منتقاة من صحيح القصص المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، تدخل قلوب العامة بدلاً مِمَّا اعتادوا سماعه من القصص الواهية، ويتم تربيتهم على ما تحمله من عقائد صحيحة.

ويجب على كل مسلم أن يعتقد أن أحسن القصص هي قصص القرآن، كما قال الله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف:٣].

قال أحمد حسن رضوان فِي كتابه "مسائل فِي تأويل الأحاديث أو آيات السائلين"*. (ص٩، ١٠): "وهو سبحانه يقص على رسوله القصص منذ أن خلق آدم وزوجه، وفي القرآن أنباء الرسل وأنباء ما قد سبق، تقرؤها فلا تشعر أبدًا أنك غريب فِي هذا الكون، بل إن ذكرك موصول إلى أبينا آدم، وأن النفس هي النفس، تتغير الأزمان وتتبدل الظروف والإنسان هو الإنسان، بأطماعه وأطماحه وخيره وشره، إذا نظر تحت قدميه لَم ير إلا نفسه، وكلما تمعن فيما حوله رأى رقعة أوسع من الأرض، وكلما ارتقى رأى رقعة أوسع من الكون، وكلما تمعن فِي قصص الأولين رآها أمثلة حيَّة تتحرك فِي نفسه وتتحرك أمام ناظريه، وكلما قرأ القرآن واعتبر كان مع

* طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب (١٩٨٧م).

نوح فِي السفينة، ومع كليم الله، والله يكلمه تكليمًا، ومع حبيب الله، والله يكمل دينه الذي ارتضاه، ويتم عليه وعلينا نعمته" اهـ.

قلت: وإن كان الكلام السابق خاصًّا بقصص القرآن، إلا أنه يتنَزل أيضًا على القصص النبوي حيث إن حاكيها -صلى الله عليه وآله وسلم- لَم يحكها من عند نفسه إنَّما هو وحيٌ يوحى، وهذا بالنسبة للقصص الَّتِي يقصها علينا ابتداءً -صلى الله عليه وآله وسلم- وهي نوعين: قصص عن السابقين، وقصص عن الآتي من الملاحم وأشراط الساعة وأمور الآخرة، وكلاهما وحيٌ من الله.

وهناك أيضًا من القصص الَّتِي انتقيتها فِي هذا الكتاب قصص تحكي عن مواقف حدثت فِي حياة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- أو فِي حياة الصحابة والسلف الصالح، نقتنص من الكل الدروس والفوائد فِي العقيدة والمنهج، وكذا قد يصحب هذا بعض الفوائد الفقهية أو الحديثية.

ولقد درجت فيه على سنن السابقين من علماء الحديث الربانيين، من إيراد كل قصة أو أثر بإسناده المذكور فِي أحد كتب السنة أو المسانيد أو الأجزاء الحديثية، وذلك لربط العامة بأزمة دينهم ألا وهي الأسانيد.

فاعلم -رعاك الله- أن الإسناد هو جُنَّتَكَ الَّتِي تدفع بِها كيد أهل البدع والزائغين عن الحق، وبه تعرف دينك المنقول عبر الأزمان بِهذا الإسناد، فلا تَمل من قراءته ومحاولة فهم ما أسطره من بيان لحال رجاله، حَتَّى تتكون عندك شيئًا من الملكة الَّتِي بِها تفهم كلام علماء الحديث، وبالتالي تميز كلام المخالفين الذين يلبسون عليك دينك ببعض القصص والأخبار الواهية المكذوبة، ولا أعني بِهذا التقرير، أن يصير العامة علماء للحديث، أو أنَّهم سيتمكنون بمفردهم فِي فهم ما يتعلق بِهذه الأسانيد من علل وتجريح وتعديل، ولكن أقل الأحوال أن تزول الغربة بينهم وبينها، ويعلمون أنَّها هي الوسيلة الَّتِي بِها نعرف الصحيح من المكذوب أو الضعيف، وأن ديننا وعقيدتنا ومنهجنا كل مبني على ما نُقِل لنا بِهذه الأسانيد، فهي العَصَبة الَّتِي تأوينا إلى ركن شديد.

ولذا فإني ضد هذه الدعوة الَّتِي تدعو إلى تَهذيب بعض كتب السنة أو الحديث بحذف ما فيها من أسانيد بحجة التبسيط والاختصار، والتي بِهذا الصنيع، تعزل قلوب العامة عن هذا العلم المبارك علم الحديث الذي هو مبني على الأسانيد.

وأنا لا أدري لما هذه الشنشنة بأن العامة إذا وجدوا ذكرًا

للأسانيد فِي كتاب ما أنَّهم ينصرفون عنه ويملون منه، أليس هؤلاء العامة يتعاملون فِي حياتِهم اليومية دون أن يشعروا بِهذه الأسانيد.

فأنا عندما أقول لك خبرًا ما أو أخبرك عن حادثة معينة، فإنك فِي الغالب ستسألني من أخبرك بِهذا؟.

فأجيبك: أخبرني به فلان، أو حدثني به علان؟.

فتقول: وكيف عَلِمَ به فلان أو علان؟.

فأقول: قد قرأه فِي الجريدة الفلانية أو سمعه من صديقه كذا...

فتستطرد قائلاً: و لكن فلان هذا هل هو صادق أم عُرِف عنه الكذب؟.

فأقول لك: بل هو صادق -إن شاء الله- لَم نجرب عليه كذبًا.

فتزيد مستفهمًا: لكن لعله لَم يضبط الخبر لضعف حفظه أو سرعة نسيانه؟.

فأرد عليك: لا، بل هو ضابط لما ينقل، عدل فِي أخباره..... إلى آخر هذه الأسئلة الفطرية والتي نبني عليها - وبدون تكلف- قبول أو رد الأخبار فِي حياتنا العادية، فهلا أزلنا هذه الحواجز الوهمية الَّتِي حجزتنا عن ديننا، ومددنا

حبال الود بيننا وبين أسباب حفظه من هذه الأسانيد الَّتِي تحمل فِي طياتِها أسْماء الفوارس من الرواة والحفاظ الذين ركبوا الصعب لإيصال هذا الدين إلينا صافيًا كما أُنْزل.

ويركب يوم الروع منا فوارس يصيرون فِي طعن الأباهر* والكُلا

وهأنذا أحاول بِهذا التقرير السابق، وبِما سيأتي -إن شاء الله- فِي طيات القصص مداواة هذه الكلوم ومحاولة الاقتراب بكم -رحمكم الله- إلى دار أهل الحديث وأصحاب الأثر حاملي لواء الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، فاحذروا أن تكونوا مِمَّن قال فيهم الشاعر:

بكلٍّ تداوينا فلم يُشفِ ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تَهواه ليس بذي وُدِّ

وقد كانت مجالس التحديث فِي الأزمان السالفة تعج بالعشرات مِمَّن هم ليسوا من طلبة العلم طلبًا لشرف الإسناد، وكانوا يحضرون معهم أبناءهم لينالوا بركة هذه المجالس،

---

* جمع أبْهر وهو عرق يخرج من القلب إذا انقطع مات صاحبه.

وظل شأن الإسناد محفوظًا فِي القلوب حَتَّى بعد انتهاء عصر التدوين، وكانت الأسانيد بعده -الخاصة بالأخبار الَّتِي دونت فِي كتب- تكتب طلبًا للشرف أو العلو، ثُمَّ تداعت الأكلة إلى قصعتها فِي هذا الزمان زمان الغربة، وصار الإسناد غريبًا كغربة الإسلام.

وسوف تلحظ -رحمك الله- فِي ثنايا الدروس والفوائد المقتنصة من القصص، الدندنة المتكررة حول ترسيخ المعنى الصحيح لكلمة التوحيد، وهذا التكرار ليس عبثًا أو لغير فائدة، بل هو أحد الأساليب البلاغية الَّتِي وردت فِي كلام الله تعالى، وكذا هو المقصود من الأمر بالتذكير فِي قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

"ونسأل الله أن لا نضيع بين الغفلة والجهل، وأن يسدد خطانا وخطى أمتنا إلى غاية مرموقة، يعين على بلوغها تراث من الثقافة والأدب والفكر، لو كان لعدونا مثله، لما لجأ إلى أبشع وسائل التدمير والنسف، حَتَّى يتركنا أمة عاجزة جاهلة تخر على آثار قدميه خاضعة، تصف نفسها بألفاظ كثيرة تدار على أسماع صغارنا وكبارنا بالليل والنهار،

كالتخلف والتعصب، والرجعية"*.

وصلى الله على مُحمَّد النَّبِي الأمي وآله وسلم.

وكتب

أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان

ليلة الإثنين الخامس من صفر ١٤٢٤هـ

الساعة الثانية عشر وسبع دقائق فِي الثلث

الثاني من الليل-حي مصر الجديدة- القاهرة

قصة تاريخ الشرك في بني آدم

قال البخاري فِي صحيحه (٤٩٢٠): حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: «**صارت الأوثان الَّتِي كانت فِي قوم نوح**

* آخر فقرات الرسالة الَّتِي وضعها العلامة محمود شاكر -رحمه الله- بين يدي فصوله: "أباطيل وأسمار" (ص١٥).

فِي العرب بعد[١]، أما "ودٌّ"[٢] فكانت لكلب[٣] بدومة الجندل[٤]، وأما "سواعٌ"[٥] فكانت لهذيل[٦]، وأما "يغوث"[٧] فكانت لمرادٍ[٨]، ثُمَّ لبني غطيف[٩] بالجرف[١٠] عند سبأ، وأما "يعوق"[١١] فكانت لهمدان[١٢]، وأما "نسر"[١٣] فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع[١٤]، أسْماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا[١٥] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا[١٦] إلى مجالسهم الَّتِي كانوا يجلسون أنصابًا[١٧] وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حَتَّى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم[١٨] عُبِدت)).

الشرح ومعاني المفردات لقصة تاريخ الشرك في بني آدم:

(١) أي: أن هذه الأوثان كانت آلهة تعبدها قوم نوح ثُمَّ عبدتْها العرب بعد.

(٢)، (٥)، (٧)، (١١)، (١٣) **وَد، سُواع، يَغوث، يَعوق، نَسرًا:** هي أسْماء الرجال الصالحين الذين نُصبت تماثيل لهم بأسمائهم.

(٣)، (٦)، (٨)، (٩)، (١٢)، (١٤) **كلب، هُذيل، مراد، بني غُطيف، همدان، حمير آل ذي الكلاع:** أسْماء القبائل الَّتِي كان ينتمي إليها هؤلاء الصالحين.

(١٥) **هلكوا:** أي ماتوا: ويجوز إطلاق لفظ الهلاك على من مات من الصالحين، وليس هذا خاصًّا بالكافرين، كما أخبر سبحانه عن يوسف _: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾ [غافر:٣٤].

(١٦)، (١٧) **انصبوا:** النَّصَبَ هو الشيء أقامه، والنَّصْبُ: بوزن الضرب: ما نُصِب فعُبد من دون الله*. وقيل: النُّصُب، بضم الصاد.

والفرق بين الأصنام والأنصاب: إن الأصنام هي صور منقوشة، وأما الأنصاب فهي غير ذلك.

وأقرب مثال لَها هي: القبور الَّتِي تنصب أي تقام وترفع فوق الأرض لتصير بارزة ظاهرة، فتُدعى، ويُطاف بِها، ويُتمسَّحَ بأركانِها.

(١٨) **تنسخ العلم:** النسخ فِي اللغة هو: الإزالة.

والمقصود: أن علم النبوة والوحي قد زال من القلوب،

---

* مختار الصحاح (ص٢٧٥).

وحل محله الجهل والخرافة والبدعة والشرك.

الدروس والفوائد من قصة تاريخ الشرك في بني آدم:

الفائدة الأولى: أن الأصل فِي بني آدم هو فطرة التوحيد، وأن الشرك هو الطارئ عليهم، كما جاء فِي الحديث الصحيح: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُمجسانه أو ينصرانه**».

الفائدة الثانية: أن الأوثان والأصنام الَّتِي عُبِدَت من دون الله من بداية تاريخ بني آدم وحتى الآن ما هي إلا رموز لبعض الصالحين والمعظمين عند الناس، وليست مجرد حجارة أو شيئًا جامدًا ماديًّا ليس له معنَى.

الفائدة الثالثة: أن الشيطان له خطوات قد تستمر سنوات عديدة حَتَّى يحقق مراده من إضلال بني آدم، وأعظم مراد له هو إيقاع بني آدم فِي الشرك بالله العظيم.

والدلالة فِي هذه القصة على هذا الأمر: هي أن الشيطان بدأ مع قوم نوح بخطوة خبيثة ليست صريحة فِي الشرك لكنها مؤدية إليه، ولو بعد زمن، وهذا ما حدث فعلاً فبعد أن خطا

الشيطان مع بني آدم الخطوة الأولى نحو الشرك، بتزيينه لهم أن يتخذوا المقامات والأنصاب للصالحين من أجل أن يتذكروهم ويتعظوا بِهم، انتقل بِهم جيلاً بعد جيل، خطوة بعد خطوة تدريجيًّا حَتَّى جاء الجيل الذي ابتعد عن الوحي وعن الالتزام بِهدي الأنبياء السابقين وهم: آدم _ وإدريس، وغيرهما من رسل الله -عليهم السلام جميعًا- وأوهمهم بكيده الضعيف المقابل لعلمهم الأضعف، أن هذه المقامات والأضرحة والقبور والتماثيل كانت معظمة وذات هيبة وجلال عند آبائكم وأجدادكم، وليس هذا إلا لمكانتها عند الله، فاتخذوها وسائل ووسائط تقربكم إلى الله، وهذا لن يتم لكم حَتَّى تقدموا لَها العبادات من دعائها والذبح لَها والنذر لَها، والخشية من إغضابِها، حَتَّى لا تصيبكم بسوء.

وقد اتخذ الشيطان خطوة واسعة المدى طويلة الأجل من بداية نزول آدم إلى الأرض حَتَّى أوقع قوم نوح فِي هذا الشرك كان مقدار هذه الخطوة حوالي عشرة قرون، وهذا ما جاء فِي الأثر عن ابن عباس أيضًا أنه قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين".

فإذا تأملت هذا تأهبت لمحاربة هذا العدو الخبيث: إبليس وذريته، وجهزت عُدَّتك وأسلحتك من العلم النافع ونبذ الجهل والخرافة، حَتَّى لا تقع فِي شراكه ولو بعد خطوات، وأزمان.

الفائدة الرابعة: أن الغلو فِي تعظيم الصالحين والأولياء وسيلة من أعظم الوسائل المؤدية للشرك، وهذا هو ما حدث مع قوم نوح، فوقعوا فِي أعظم معصية يُعصى بِها الله على وجه الأرض، وصاروا أعظم نقطة سوداء فِي بداية تاريخ بني آدم، وسنوا أسوأ سنة عرفتها البشرية ومازالت تعاني منها حَتَّى قرننا الحالي، قرن الحاسبات الآلية والمراكب الفضائية، وهي سُنة الغلو فِي تعظيم الأموات من الصالحين، ونصب مقامات لهم، واعتقاد صفات الألوهية فيهم، ومن ثَمَّ عبادتِهم.

وها نحن فِي قرننا الحالي، وقد مرَّ بيننا وبين قوم نوح مئات القرون، ومازالت هذه السنة السيئة أو قل: البدعة الخبيثة، تسري فِي بني آدم، فها أنت ترى مقامات شبيهة بمقامات رجال قوم نوح الَّتِي عبدوها، فلا تخلو بلد من بلاد الإسلام من هذه المقامات الوثنية الشركية.

ففي مصر: مقام الحسين، ومقام السيدة زينب، ومقام

السيدة نفيسة، ومقام السيد البدوي، ومقام الدسوقي، ومقام المرسي أبي العباس، وغيرها من عشرات المقامات الوثنية، فلا تكاد تخلو قرية من قرى مصر من هذه الأوثان.

وبالطبع ينبغي أن يُفرق بين من يُعبد من دون الله بغير علمه ورضاه، وبين من يُعبد برضاه، فمثلاً نحن على يقين طبعًا أن المنسوبين إلى آل بيت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لا يعبدون برضاهم، ومن ثَمَّ هم ليسوا بأوثان أو طواغيت، لكن الوثن يتمثل فِي المقام والقبر المنصوب لأحدهم، لا لذواتِهم، وكذلك عيسى _، فإنه لا يجوز أن نقول عليه: إنه وثن أو طاغوت، لأن النصارى عبدوه بغير رضًا منه، ومن هنا نفهم، أن تعريف الطاغوت هو: كل معبود من دون الله برضًا من هذا المعبود.

وهؤلاء الأمريكان أصحاب أعظم حضارة مادية فِي العصر الحديث، يعبدون بعض التماثيل والآثار الفرعونية، وبعضهم يجيء فِي كل عام مرتين إلى تمثال رمسيس الثاني المنصوب بمعبد أبي سمبل، حيث تشرق على وجهه الشمس مرتين من جهتين فِي كل عام، ويعتبرون هذه معجزة لإلههم، ويأتون يلتمسون منه البركات، حين تشرق الشمس على وجهه، ولا عقول لهم، وصدق الله حين بيَّن لنا حال علم

هؤلاء الكفار بقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧].

وفي مقال بعنوان: "الأضرحة مدخل تاريخي واجتماعي"*. قال كاتبه -جزاه الله خيرًا- هذا الكلام المتين:

---

* مجلة التوحيد (العدد الرابع-ربيع الثاني ١٤١٦هـ)، وكاتبه هو: أ/ وليد فكري.

ومجلة التوحيد هي -بلا شك- من أفضل المجلات الدورية الَّتِي تصدر فِي مصر بالنسبة لغيرها، إلا أنَّها جنحت فِي السنوات القليلة الماضية قليلاً عن دعوة السلف فِي بعض المسائل المنهجية، وهذا راجع إلى تسلل بعض الحزبيين من حزب الإخوان المنحرف، وغيره من الأحزاب الضالة إلى داخل هياكلها، وإن كان القائمين عليها -على ظني- استشعروا ما أقول، فحاولوا خفية دفع هذه التهمة عنهم ببعض المقالات الَّتِي تعمق انتماءهم للسلف، لكن على المنحى الآخر لَم يوقفوا زحف المقالات الحزبية الأخرى، وإن كانت ليست صريحة فِي الدعوة إلى الحزبية، إلا أن من أوضارها تمييع بعض المسائل السائرة فِي هذه الأيام، والتي صارت علامات كاشفة فِي تمييز السلفيين حقًّا عن المنتكسين عن سبيل السلف رويدًا رويدًا.

ومهما يكن عند امرئ من خليقة يُخالَهَا تخفى على الناس تُعلم

أقول هذا نصحًا وتذكرة لمن ولاه الله أمر هذه المجلة، حَتَّى تظل كما كانت فِي بداية منشئها منبرًا مضيئًا لنشر التوحيد والسنة وأقوال السلف، وكذا تحذيرًا لمن أحب هذه المجلة، واعتبرها مرجعًا لدينه، فصار يأخذ منها بلا تمييز للسم الذي صار يدس فِي عسلها فِي أيامها الأخيرة.

ومن الموافقات، أن يُصاحب هذا الإحداث الخفي فِي منهاج المجلة، إحداثًا ماديًّا فِي إخراجها الفني، حيث صارت تصدر فِي أربعة ألوان، مع تحسين خامة الورق، وهذا الإحداث المادي محمود، حيث إن الأصل فِي الإحداث الدنيوي الإباحة، أما الإحداث المنهجي هو الذي نذمه وننكره.

ولذا فقد صدق أحد أهل العلم حينما قال: نحن نريد المجلة أربعة ألوان فِي

لكن الأمر الذي يدعو إلى العجب والتأمل أن الشيطان يأتي من قبل الحسنات فقد يكون مفهومًا أن يأتي الشيطان من قبل الدنيا فيزينها ويطيل الأمل فيها وقد يكون مفهومًا أن يأتي من قبل الآخرة فيذهب أثرها وفاعليتها من نفس المسلم ويمنيه فيها الأماني وقد يكون مفهومًا أن يأتي الشيطان من قبل السيئات فيهونُها على العبد حَتَّى تحيط به ثُمَّ يقنطه من رحمة الله حَتَّى يكفر العبد.

لكن العجب أن يأتيه من قبل الحسنات ولكن بعد التأمل فِي النفس وفي أحوال الناس وجدت الشيطان يأتي حقًّا من قبل الحسنات فيدعو العبد إلى المغالاة فيها حَتَّى تصبح الحسنة سيئة وتذكرت قول حكيم أن الفضيلة وسط بين رذيلتين.

ومن نَماذج إتيان الشيطان من قبل الحسنات: حب الصالحين وزيارة المقابر فإن محبة النَّبِي S وآل بيته وصحابته وكافة العلماء العاملين من السلف والخلف وموالاتِهم من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ولكن الشيطان دخل للناس من هذا الباب الواسع الذي يعتبر من أعظم الحسنات والقربات إلى الله تعالى فدفع الناس إلى أن جعلوا للأموات صفات

= الناحية الفنية، لكن لا نريدها أربعة ألوان منهجيًّا، وعلى الله قصد السبيل.

كصفات الله سبحانه وتعالى من التعظيم والقصد فِي الدعاء والاستغاثة وغيرها مِمَّا يدخل فِي باب الشرك الأكبر بل دفع بعضهم إلى اعتقاد ألوهية الأشخاص كما فِي بعض الفرق المارقة من الإسلام كالنصيريين وغيرهم.

كذلك فإن زيارة قبور الأموات من الأهل والعلماء والصحابة وغيرهم من سنن الإسلام الَّتِي سنها النَّبِي S للتذكر والعظة والتواصل بين أول الأمة وآخرها وغيرها من المعاني والمقاصد الشريفة ولكن الشيطان دفع الناس لإظهار القبور وتشييدها مخالفة للسنة وأصبحت زيارة قبور العلماء مظهرًا بغيضًا من مظاهر الشرك والفساد وتجارة رائجة للخرافة ولإفساد الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وليس الغرض من هذا المقال مناقشة الحكم الفقهي فِي شأن بناء الأضرحة وزيارة الأموات فهذا الموضوع قد حسم فقهيًّا ولازالت الرسائل والكتب تصدر فيه وإن كنت أرى أن أنفس ما كتب فيه حَتَّى الآن وأجمل هو ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية فِي كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" الذي شرح فيه أن موضوع الأضرحة وقصد الأموات بالدعاء والاستغاثة وغيره هو صورة -وليس الصورة- من حرب الشيطان الَّتِي لَها العديد والمتجدد من الصور والأشكال.

وعلى الرغم من الحسم الفقهي لهذا الشأن بِما تطمئن له نفس كل مسلم محب لله ورسوله S فلازال هناك من يدافع عن الأضرحة وما يحدث حولها بدعوى أن ما يفعله الناس حولها ليس شركًا وأنَّهم حسنو النية والغريب أن هؤلاء بدلاً من أن يصرفوا أوقاتَهم فِي تعليم الناس وإزالة الخرافات من عقولهم فإنَّهم يضيعون أوقاتَهم فِي التفنن للرد على نصوص أهل العلم فِي هذا الشأن ومعارضتهم بل ومعارضة النصوص النبوية الصحيحة فِي هذا الشأن فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أقول: إن هذه الورقات هي قراءة فِي البعد التاريخي والاجتماعي لموضوع الأضرحة وسأذكر فيه نقولاً لأناس بعيدين كل البعد عن موقع الفتوى الشرعية وإنَّما هم علماء اجتماع وعمارة إسلامية يرصدون الظواهر رصدًا علميًّا بعيدًا عن الدخول فِي الأحكام الشرعية، وغرضي من هذا النقل أن يزداد الذين آمنوا إيْمانًا بعظم ودقة شريعتهم النقية وكذلك دعوة إلى هؤلاء الذين يدافعون عن أمور باطلة أن يعودوا للمحجة البيضاء تشملنا وإياهم حَتَّى نلتفت للأمور الهائلة الَّتِي تواجه الإسلام الآن فِي كل مكان التفات المؤمن السليم العقيدة والسائر على نَهج نبيه صلى الله عليه وسلم ملتمسين النصر

من الله سبحانه وتعالى والتأييد.

قبل الإسلام كانت القبور المشيدة هي للملوك والفراعنة والجبابرة ونظرة إلى أهرام الجيزة كافية لذلك وقد لا يعلم الكثيرون أن بجوار هذه القبور المشيدة -الأهرامات- هناك قبور مندرسة لحوالي مائة ألف عامل مِمَّن اشتركوا فِي بناء هذه الأهرامات فِي مظاهرة بشعة ضد الاستعباد والظلم والبغي.

إذن فتشييد القبور سنة الظالمين ولنأت الآن لظهور الأضرحة بعد الإسلام سنترك الكلام لاختصاصية فِي العمارة الإسلامية هي د/سعاد ماهر فهي تقول فِي الجزء الأول من كتابِها "مساجد مصر": "على أن أقدم ضريح فِي الإسلام أقيمت عليه قبة يرجع إلى القرن الثالث الهجري وقد عرف هذا الضريح باسم "قبة الصليبية" ويوجد فِي مدينة سمارا بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة... ويقول الطبري: إن أم الخليفة العباسي المنتصر استأذنت فِي بناء ضريح منفصل لولدها فأذن لَها، إذ كانت العادة قبل ذلك أن يدفن الخليفة فِي قصره، فأقامت قبة الصليبية فِي شهر ربيع الثاني سنة ٢٨٤هـ وقد ضم الضريح إلى جانب المنتصر الخليفة المعتز والمهدي.

وتعتبر قبة الصليبية أول قبة فِي الإسلام ويليها من حيث التاريخ ضريح إسماعيل الساماني المبني سنة ٢٩٦هـ فِي مدينة بخارى ثُمَّ ضريح الإمام علي فِي النجف الذي بناه الحمدانيون سنة ٣١٧هـ ثُمَّ ضريح مُحمَّد بن موسى فِي مدينة قم بإيران سنة ٣٦٦هـ ثُمَّ ضريح السبع بنات فِي الفسطاط سنة ٤٠٠هـ" انتهى بنصه.

وبقليل من التأمل نجد أن بداية بناء الأضرحة فِي الإسلام قد جاءت على سنن الجبابرة قبل الإسلام فأول ضريح فِي الإسلام هو للخليفة فلنتأمل ذلك، ولينظر الذين يدافعون عن هذه القبور هل أنشأها أهل العلم أم أهل السلطان.

فِي هذا الجزء سنترك الكلام حول اللجوء للأموات من أصحاب الأضرحة وإرسال الرسائل لهم كما يحدث ولازال حَتَّى الآن فِي ضريح الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- لعالم اجتماع مصري هو د/سيد عويس -رحمه الله- فيقول فِي كتابه "رسائل إلى الإمام الشافعي":

"فظاهرة إرسال الرسائل إلى الموتى مثلاً تعكس اتجاهًا نحو الحياة، وهو اتجاه لا يُمكن اعتباره اتجاهًا إيجابيًّا أو علميًّا".

وقد ذكر د/عويس فِي كتابه نماذج لعدد من الرسائل المرسلة إلى الإمام الشافعي وهي رسائل مبكية مضحكة فهذا يطلب من الإمام الشافعي أن ينتصف له من أناس سرقوه وشتموه وهذه تطلب إصلاح زوجها وآخر فِي خطاب عجيب يطلب من الإمام الشافعي "عقد جلسة شريفة يحضر فيها معه سيدنا الحسين وسيدنا الحسن والست زينب أم هاشم وجميع أهل بيت النَّبِي صلى الله عليه وسلم ويطلبون من الله مسح إسرائيل -اليهود- وإزالتها من على وجه الأرض المقدسة فِي هذا الأسبوع، ويكون -إن شاء الله- آخر ميعاد يوم الثلاثاء القادم" وهذا الخطاب مرسل فِي أكتوبر سنة ١٩٥٥م.

فالغريب أن يأتي قائل بعد هذا ويقول: إن الناس فِي سلوكها مع أصحاب الأضرحة لا تشرك بالله، إن ظاهرة اللجوء للأموات والأضرحة هي مثبط أساسي ضد حركة المجتمع الإسلامي نحو الخروج من حلقة التخلف العقدي والاجتماعي وإلا بالله عليك كيف يتحرك الناس لجهاد أعداء الله وهم يتوقعون أن إرسال رسالة للإمام الشافعي -رحمه الله- أو زيارة للحسين ـ كفيلة بِهذا الأمر.

ويعلق د/عويس فِي موضع آخر فيقول: "فالكاتب يرى أن الارتباط بالموتى وهم فِي حكم العدم وتلقي الوحي منهم فِي

بعض الأمور والالتجاء إليهم فِي أخرى وانتظارهم حَتَّى يبتوا فِي أمور حياتِهم سواء كانت أمورًا عادية لا تحتمل الانتظار أو أمورًا غير عادية يكون من واجبهم أن يبتوا هم فيها كل هذه الأشياء تبرز بوضوح ارتفاع مكانة العناصر الثقافية غير العلمية فِي تقدير بعض الناس كما تبرز سيادتَها على حكمهم على الأمور والأشياء أي أن تحكم الموتى فِي الأحياء أمر له فِي تقدير الكاتب خطورته".

ويذكر د/ عويس فِي نتائج بحثه: "وقد تأكد لنا أن بعض مرسلي الرسائل فِي بعض الأحيان يطلبون إشراك أولياء آخرين فِي نظر الشكوى وتحقيق الطلبات ويبدو أن هؤلاء لا يكفيهم الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى والطلب منه والإمام الشافعي وساطة إليه أو الشكوى إلى الإمام الشافعي والطلب منه والله -جل وعلا- وساطة إليه "تأمل الكارثة" وكذلك النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي بعض الأحيان.

ويقول: إننا نجد أن مرسلي الرسائل يرسلون رسائلهم فِي كل الفترات والأوقات فِي عمر البلاد الحرجة منها وغير الحرجة وكأنَّهم فِي وادٍ والبلاد وما يجري فيها من حوادث فِي وادٍ آخر".

ويقول: "وقد وجدنا مرسلي الرسائل وخاصة الشاكون

منهم يحقرون شأن أنفسهم ويضعونَها فِي مستوى الذل والمهانة ويبدون وكأنَّهم مغلوبون على أمرهم ولا كرامة عندهم... وقد تأكد لنا أيضًا ما فِي نفوس مرسلي الرسائل من غل ومن حقد ومن مرارة وما فِي نفوسهم من بذور الشماتة... وقد لاحظنا أن بعض الطلبات الَّتِي قدمها مرسلو الرسائل تظهر صورًا أخرى من السمات الشخصية عندهم وأن أبرز هذه الصور هي صورة الإحسان بالضياع الذي يغمر نفوسهم" اهـ.

وحقيقة: فأنا لا أجد التعقيب على كلام د/عويس سيضيف جديدًا فكلماته رسمت حجم الكارثة الَّتِي يفعلها كثير من عامة الناس بل وعلمائهم.

وختامًا: فإننا سنعرض ببالغ الحسرة الجهود الرسمية فِي تجاه هذه الكارثة ولا يتصور أحد أنَّها جهود لتعليم الناس وتبصيرهم بالحق ولكنها جهود لتقنين الكارثة وسأترك الكلام على لسان غيري أيضًا.

تقول د/سعاد ماهر: "لقد جرت العادة فِي مصر وسائر بلاد العالم الإسلامي تقريبًا أن يزور الناس قبور الأهل وأضرحة آل البيت وأولياء الله الصالحين فِي المواسم والأعياد الدينية... حَتَّى إن وزارة الأوقاف رأت أن تساهم

بدورها فِي إحياء هذا التقليد فشاركت فِي إحياء ذكرى أصحاب هذه الأضرحة الَّتِي يزيد عدد المشهور منها على الألف بإقامة احتفالات فِي مواعيد معينة عرفت بالموالد".

ويقول د/عويس: "وتشارك الناس فِي الاهتمام بموضوع النذور، الدولة فِي شخص وزارة الأوقاف الَّتِي تَهتم اهتمامًا بالغًا بحصيلة صناديق النذور بمساجد أولياء الله حَتَّى إنَّها خصصت إدارة من إداراتِها لتنظيم وتوزيع المبالغ الَّتِي تدرها هذه الصناديق ومنذ عام ١٩٥٢ دخلت حصيلة صناديق النذور إلى إيرادات وزارة الأوقاف تحت صناديق النذور"* اهـ.

وبعد هذا الاستعراض لتاريخ دخول الأضرحة والمقامات إلى بلاد الإسلام، نرجع إلى الخلف خطوة فِي الزمان إلى ما قبل بعثة النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- لنستعرض تاريخ الشرك إلى جزيرة العرب بعد موت إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- فنكون بذلك قد قمنا بمسح زماني لتاريخ الشرك فِي بعض الأزمنة الَّتِي مرت ببني آدم، وندرك أن الشيطان سائر فِي خطواته لا يمل ولا

---

* انتهى النقل عن مقال: "الأضرحة مدخل تاريخي".

يكل، دحر الله كيده.

قال أبو المنذر هشام بن مُحمَّد بن السائب الكلبي فِي بداية كتابه "الأصنام".** (ص٦-مطبوعة دار الكتب المصرية):

"حدثنا أبي وغيره -وقد أثبت حديثهم جميعًا- أن إسماعيل بن إبراهيم -صلى الله عليهما- لما سكن مكة وولد له بِها أولاد كثير حَتَّى ملئوا مكة ونفوا من كان بِها من العماليق، ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات وأخرج بعضهم بعضًا، فتفسحوا فِي البلاد والتماس المعاش.

وكان الذي سلخ بِهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم وصبابة بمكة، فحيث ما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمنًا منهم بِها وصبابة بالحرم وحبًّا له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-.

ثُمَّ سلخ ذلك بِهم إلى أن عبدوا ما استحبوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا

** قام على تحقيقه الأستاذ أحمد زكي -رحمه الله- وهو من أوائل المخطوطات الَّتِي خرجت إلى عالَم المطبوعات، وكانت طبعته الأولى عام ١٣٤٣هـ.

الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم، وانتجثوا ما كان يعبد قوم نوح _ منها على إرث ما بقي فيهم من ذكرها، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتنسكون بِها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف على عرفة ومزدلفة، وإهداء البدن، والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه.

فكانت نزار تقول إذا ما أهلت:

"لبيك اللهم، لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك".

ويوحدونه بالتلبية، ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده، يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦]. أي: ما يوحدونني بمعرفة حقي، إلا جعلوا معي شريكًا من خلقي.

وكانت تلبية عَكٍّ، إذا خرجوا حجاجًا، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانِهم، فكانا أمام ركبهم.

فيقولان: نحن غرابا عك.

فتقول عبك من بعدهما: عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كيما نحج الثانية.

وكانت ربيعة إذا حجت فقضت المناسك ووقفت فِي

المواقف، نفرت فِي النفر الأول ولَم تقم إلى آخر التشريق.

فكان أول من غير دين إسماعيل _ فنصب الأوثان وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وبَحَّرَ البحيرة وحمى الحامية: عمرو بن ربيعة، وهو لُحَيٌّ بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، وهو أبو خزاعة.

وكانت أم عمرو بن لُحَيٍّ فهيرة بنت عمرو بن الحارث، ويقال: قمعة بنت مضاض الجرهمي.

وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة، فلما بلغ عمرو بن لُحَيّ، نازعه فِي الولاية وقاتل جرهما ببني إسماعيل، فظفر بِهم وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت بعدهم، ثُمَّ إنه مرض مرضًا شديدًا.

فقيل له: إن بالبلقاء من الشأم حمة إن أتيتها، برأت، فأتاها فاستحم بِها، فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام.

فقال: ما هذه؟.

فقالوا: نستسقي بِها المطر ونستنصر بِها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها، ففعلوا فقدم بِها مكة ونصبها حول الكعبة.

قال أبو المنذر هشام بن مُحمَّد: فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن إسافًا ونائلة "رجل من جرهم يقال

له: إساف بن يعلى، ونائلة بنت زيد من جرهم" وكان يتعشقها فِي أرض اليمن فأقبلوا حجاجًا، فدخلا الكعبة، فوجدا غفلة من الناس وخلوة فِي البيت، ففجر بِها فِي البيت فمسخا، فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتْهما خزاعة وقريش، ومن حج البيت بعد من العرب". اهـ.

قلت: والكلبي متروك الحديث، إلا أن كثيرًا مِمَّا ذكر قد ثبت فِي الصحاح والسنن، إلا أني فضلت سَوق هذا السياق لشموله التاريخي، وأسلوبه الإخباري، مِمَّا يناسب هذا المقام.

وإلى وقتنا الحالي، مازالت مشاهد الشرك تشيد، والحزبيون ينعقون -بلا فهم- أن شرك القبور قد اندثر، وعلينا -على حد تعبيرهم- أن نوجه جهودنا للقضاء على شرك القصور، وهذه نزعة اعتزالية قبيحة، وَرِدَّة منهجية عن سبيل المرسلين، وهأنذا أوافيك بمثالين معاصرين فِي بقعتين مختلفتين من بقاع أرض الإسلام، تبرهن لك فساد هذه الشنشنة الحزبية الإخوانية المارقة.

المثال الأول: أشار إليه محدث العصر، وشامة السلفيين فِي هذا الزمان: العلامة مُحمَّد ناصر الدين الألباني -رحمه

الله- فِي تقديمه لكتابه: "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" (ص٥-٧)، حيث قال -رحمه الله-:

"وقد كنت ذكرت فِي مقدمة الطبعة الأولى أن موضوع الرسالة ينحصر فِي أمرين هامين جدًّا:

الأول: حكم بناء المساجد على القبور.

الثاني: حكم الصلاة فِي هذه المساجد.

وإني آثرت البحث فيهما، لأن بعض الناس خاضوا فيهما بغير علم، وقالوا ما لَم يقله من قبلهم عالم، لاسيما وأكثر الناس لا معرفة عندهم فيه مطلقًا، فهم فِي غفلة عنه ساهون، وللحق جاهلون، ويدعمهم فِي ذلك سكوت العلماء عنهم -إلا من شاء الله وقليل ما هم- خوفًا من العامة، أو مداهنة لهم فِي سبيل الحفاظ على منْزلتهم فِي صدورهم، متناسين قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**)).

وكان من نتيجة هذا السكوت وذلك الجهل، أن آل الأمر إلى ارتكاب كثير من الناس ما حرم الله تعالى ولعن فاعله، كما سيأتي بيانه، وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل صار

بعضهم يتقرب إلى الله -تبارك وتعالى- بذلك، فترى كثيرًا من محبي الخير وعمارة المساجد منهم، ينفق أموالاً طائلة ليقيم لله مسجدًا، لكنه يعد فيه قبرًا، يوصي أن يدفن فيه بعد موته، وآخر مثال أعرفه على ذلك -وعسى أن يكون الأخير إن شاء الله- هذا المسجد الذي هو فِي رأس شارع بغداد من الجهة الغربية بدمشق، وهو المعروف بـ "مسجد بعيرًا" وفيه قبره، وقد بلغنا أن الأوقاف مانعت فِي دفنه فيه أول الأمر، ثُمَّ لا ندري الأسباب الحقيقية الَّتِي حالت بينها وبين ما أرادت، ودفن "بعيرًا" فِي مسجده بل فِي قبلته، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وهو المستعان على الخلاص من هذه المنكرات وأمثالها.

ومنذ أيام قليلة توفي أحد المفتين من الشافعية، فأراد ذووه أن يدفنوه فِي مسجد من المساجد القديمة شرقي دمشق، فمانعت الأوقاف أيضًا فِي ذلك فلم يدفن فيه، ونحن نشكر الأوقاف على هذه المواقف الطيبة، وحرصها على منع الدفن فِي المساجد، راجين الله -تبارك وتعالى- أن يكون الحامل لَها على هذا المنع هو رضاء الله سبحانه وتعالى واتباع شريعته، ليس هو اعتبارات أخرى من سياسية أو اجتماعية أو غيرها، وأن يكون ذلك بداية طيبة منها فِي سبيل تطهير المساجد من

البدع والمنكرات المزدحمة فيها، لاسيما ووزير الأوقاف فضيلة الشيخ الباقوري له مواقف كريمة، فِي محاربة كثير من هذه المنكرات وخصوصًا بناء المساجد على القبور، وله فِي هذا الموضوع كلام مفيد سيأتي نقله فِي المكان المناسب إن شاء الله تعالى.

ومن المؤسف لكل مؤمن حقًّا: أن كثيرًا من المساجد فِي البلاد السورية وغيرها لا تخلو من وجود قبر أو أكثر فيها، كأن الله -تبارك وتعالى- أمر بذلك ولَم يلعن فاعله، فكم تحسن الأوقاف صنعًا لو حاولت بحكمتها تطهير هذه المساجد منها.

ولست أشك أنه ليس من الحكمة فِي شيء مفاجأة الرأي العام بذلك، بل لابد من إعلامه قبل كل شيء، أن القبر والمسجد لا يجتمعان فِي دين الإسلام، كما قال بعض العلماء الأعلام، على ما سيأتي، وأن اجتماعهما معًا ينافي إخلاص التوحيد والعبادة لله -تبارك وتعالى- هذا الإخلاص الذي من أجل تحقيقه تبنى المساجد، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن:١٨]. اهـ.

وأما المثال الثاني: فإنه أقرب حدوثًا من سابقه، فمنذ سنوات قليلة، وفي منطقة الدمرداش إحدى ضواحي القاهرة،

تم إنشاء مسجد كبير محاط بحديقة واسعة، وقد نصب فِي وسطها مقام لفلان من الأموات، ولا أذكر اسمه الآن.

وأزيدكم شواهد أخرى، منها، مولد البدوي بطنطا يحضره كل عام ما لا يقل عن مليونين أو ثلاثة أو يزيد، تحت سمع وبصر هؤلاء الحزبيين الذين شغلوا الناس بِما لا ينفعهم من الحروب السياسية والانتخابات البرلمانية.

وهذا الشيخ مُحمَّد متولي الشعراوي -غفر الله له- أقرب الدعاة إلى قلوب العامة بمصر، لما لَم تقم دعوته على التوحيد الصافي، وتحذير هؤلاء العامة من شرك القبور، ومن تأويل وتعطيل صفات الله؛ صار الناس بعد موته يتبركون بصورته، وبعضهم يتوسل به فِي دعائه.

وقيل: إنه بُني مقام على قبره، ولكن لا أدري أتم هذا أم لا؟

فهاهو التاريخ يعيد نفسه على نفس سنن قوم نوح، وسوف تمر السنون تلو السنون، ويعود الناس إلى عبادة اللات والعزى فِي آخر الزمان، وعنده تكون آخر حلقة من حلقات تاريخ الشرك فِي بني آدم.

FFFFF

قصة ذات أنواط

قال الإمام المروزي فِي السنة* (٢٧-بتحقيقي ط. دار الآثار):
حدثنا مُحمَّد بن يَحيى (ثنا) عبد الله بن مُحمَّد بن أسْماء بن عبيد الضبعي عن جويرية عن مالك عن الزهري عن سنان بن أبي سنان الديلي حدثه عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى حنين[١]، ونحن حديثو عهد[٢] بكفر، قال: وكانت للكفار سدرة[٣] يعكفون[٤] عندها وينوطون[٥] بِها أسلحتهم، يقال لَها: ذاتُ أنواطٍ[٦]، قال: فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**الله أكبر، إنَّها السنن**[٧] **قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى:** ﴿**اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ**

* صحيح: وأخرجه معمر فِي الجامع (٢٠٧٦٣) والترمذي فِي الجامع (٢١٨٠) وابن أبي شيبة فِي مصنفه (٤٧٩/٧) وأبو يعلى فِي مسنده (٤٤١)، والطيالسي فِي مسنده (١٣٤٦) وابن أبي عاصم فِي السنة (٧٦) والنسائي فِي الكبرى (١١١٨٥) والطبري فِي تفسيره (٤٥/٩)، وابن هشام فِي السيرة (١١٠/٥) وأحمد فِي مسنده (٢١٨/٥) والطبراني فِي الكبير (٢٤٣/٣، ٢٤٤) واللالكائي فِي أصول الاعتقاد (٢٠٥) من طرق عن الزهري به.

قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف:١٣٨] **لتركبن سنن من كان قبلكم**[٨])).

الشرح ومعاني المفردات لقصة ذات أنواط:

(١) **حُنَيْن:** هو الوادي الذي حدثت به أول غزوة بعد فتح مكة، فبعد الفتح، تجمعت ثقيف وهوازن -وهما قبيلتان من أهل الكفر- بجمع عظيم لحرب المسلمين، فخرج إليهم النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- ومعه اثنا عشر ألفًا، ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف من المدينة، واغتر المسلمون بكثرتِهم وقالوا: لن نغلب اليوم من قلة، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ**﴾ [التوبة:٢٥]. وكاد المسلمون أن ينهزموا، لولا أن تداركهم الله برحمته، بعد أن علموا أن كثرتَهم لَم تنفعهم بشيء، ثُمَّ أتاهم النصر فِي نِهاية المعركة، وعلموا أن النصر من الله وحده بحوله وقوته.

(٢) **حديثو عهد بكفر:** حديثو جمع حديث، أي: قريبو عهد بكفر، وهذه توطئة هامة ذكرها الصحابي ـ حَتَّى يُفهم سبب ما سيذكره بعد ذلك.

(٣) **سدرة:** هي واحدة السِّدر، وهو شجر النبق*.

(٤) **يعكفون:** أي يقيمون عليها، والعكوف: هو ملازمة الشيء، والمكث عنده، ومنه سُمي الاعتكاف أي ملازمة المسجد والمكث فيه للعبادة.

(٥) **ينوطون:** أي يعلقون.

(٦) **ذات أنواط:** جمع نوط، وهي مصدر للمنوط أي المعلق بِهذه السدرة.

(٧) **السنن:** أي الطرائق والعوائد الَّتِي اعتادها السابقون من الأمم الغابرة.

(٨) **لتركبن سنن من كان قبلكم:** أي لتفعلن مثل فعلهم، ولتسلكن نفس سبيلهم.

الفوائد والدروس من قصة "ذات أنواط" وربط حياة الصحابة بواقع حياتنا:

الفائدة الأولى: من أجل أن نفهم هذه الفائدة، وما بعدها، ينبغي أولاً أن نفهم لماذا طلب الصحابة من الرسول -صلى

* مختار الصحاح (مادة: سدر).

الله عليه وآله وسلم- أن يجعل لهم سدرة مثل سدرة المشركين؟.

والإجابة: أنَّهم طلبوا ذلك تقليدًا منهم للمشركين الذين كانوا يعلقون فِي هذه السدرة أسلحتهم لتنال البركة منها فتكون أنفع وأمضى فِي القتال، ومن أجل ذلك أقاموا عندها تقربًا إليها بالعبادة لكي تعطيهم هذه البركة، ولَم يكن طلب الصحابة أي شجرة أو شيء لتعليق الأسلحة، وإلا لو كان هذا هو مجرد طلبهم، لما خصوا ذات أنواط بضرب المثال، ويؤكد هذا أن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- شبه طلبهم هذا بطلب بني إسرائيل من موسى لما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أن يجعل لهم أصنامًا مثلها -أي: آلهة- يعكفون عندها ويعبدونَها.

والبركة: هي كثرة الخير فِي شيء ما وثباته.

والتبرك: هو التماس هذا الخير فِي الشيء المتبرك به، والتماس ثباته ودوامه.

نخلص من هذا: أن الدرس الذي نستفيده من هذا الواقع الذي عاشه الصحابة -رضوان الله عليهم- فِي أحداث هذه القصة هو أن التبرك بالشجر وغيره من المخلوقات الَّتِي لَم ينص الشرع على وجود البركة فيها لا يجوز التماس البركة

منه، وأن هذا التبرك المحرم قد يكون شركًا أكبر أو أصغر على حسب الحال؛ ولذلك ترى الصحابي قدم كلامه بتهيئة وهي: كون الصحابة كانوا حديثي الدخول فِي الإسلام ولَم يتعلموا بعد كل مسائل التوحيد، وأنواع الشرك، لذلك وقعوا فِي هذا الطلب المحرم، وهذا التبرك قد يكون شركًا أكبر إذا اعتقد فاعله أنه وسيلة إلى الله، وهذا حال المشركين فِي قصتنا إذ عكفوا على ذات أنواط ظنًّا منهم أنَّها وسيلة لهم إلى الله، وكذلك هو حال الأقوام الذين مرَّ عليهم بنو إسرائيل، ثُمَّ كان هو حال بني إسرائيل نفسه لما عكفوا على العجل، وعبدوه مع الله.

الفائدة الثانية: نستفيد من وصف الصحابي حال المشركين بأنَّهم كانوا يعكفون على هذه السدرة المقصود بالعبادة، وكما علمنا فِي الفائدة السابقة معنَى التبرك، نزيد هنا أن التبرك عبادة لا يجوز أن تكون إلا لله، ولا يجوز التبرك إلا بالأشياء الَّتِي شرع الله لنا التماس البركة فيها مثل ماء زمزم، وحبة البركة، وزيت الزيتون، ومجالس العلم..إلخ.

والمقصود بالتبرك بِهذه الأشياء: هو اعتقاد كونِها سببًا لحصول خير معين كثير وثابت، وليس المقصود كونُها

تمنحنا هذا الخير بذاتِها أو أنَّها وسيلة لنا إلى الله، فنعكف عليها، ونتقرب لَها بالعبادة لتحقق لنا هذا الخير، فإن هذا هو الشرك الأكبر بالله العظيم.

ومن هنا نفهم أن ما يفعله بعض الجهال من المسلمين فِي هذه الأزمان من التماس البركة من بعض القبور والأموات من الصالحين، والتمائم وغيره هو من الشرك الأصغر أو الأكبر، فإن قام هذا الجاهل بالتمسح فِي الضريح أو المقام اعتقادًا منه أن هذا سبب لحصول خير له، فهذا محرم وهو شرك أصغر، وهو أعظم من كل كبائر الذنوب العملية، فهو أعظم من الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، بل وأعظم من عقوق الوالدين، وسبهم وضربِهم، وإن اعتقد هذا الجاهل أن هذا القبر أو المقام المنصوب لهذا الولي الميت وسيلة له إلى الله، ولذلك عكف عنده، كما كان يعكف المشركون فِي قصتنا على ذات أنواط، وأخذ يتوسل به فِي دعائه ويتذلل له ويعظمه، ويعتقد فيه البركة الذاتية، وأنه قادر على إمداده بالخير والنفع، فهنا شرك أكبر، وهو منافي لكلمة التوحيد: **"لا إله إلا الله"** حيث إن معناها: **"لا معبود بحق إلا الله"** وهذا الجاهل قد توجه بالعبادة لغير الله، زعمًا منه أنَّها تقربه إلى الله.

الفائدة الثالثة: أن الإنسان يجب عليه أن يسعى لتعلم أمور دينه، وأهمها التوحيد، وما ينقضه من أنواع الشرك، فهؤلاء الصحابة الذين هم أفضل منَّا قطعًا، ولكنهم بسبب قرب عهدهم بالدخول فِي الإسلام مازالت عندهم آثارًا من الجاهلية لذا بادر النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- بتعليمهم والرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- ليس معنا فِي حياتنا بشخصه لكي يعلمنا كما علم الصحابة، لكنه معنا بسنته وآثاره المدونة فِي كتب السنة، فعلينا بالرجوع إليها لنتعلم التوحيد كما تعلمه الصحابة.

الفائدة الرابعة: عدم التهاون فِي الأمور المتعلقة بالتوحيد، لذلك رد الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- عليهم ردًّا شديدًا، وتعجب من طلبهم، وضرب لهم مثالاً واضحًا لتتضح خطورة هذا الطلب، بأن جعل الشجرة بمثابة الإله الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام.

الفائدة الخامسة: أن من سُنة الله فِي هذه الأمة هي اتباعها سنن أي طرائق الأمم السابقة من اليهود والنصارى فِي العقائد والعبادات والعادات.

FFFFF

قصة إبل بوانة

قال أبو داود فِي سننه (٣٣١٣): حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنا شعيب بن إسحاق عن الأوزاعي قال: حدثني يَحيى بن أبي كثير قال: حدثني أبو قلابة قال: حدثني ثابت بن الضحاك* قال:

---

* صحيح: وأخرجه البيهقي فِي الكبرى (٨٣/١٠) والطبراني فِي الكبير (٧٥/٢)، وأبو قلابة اسمه: عبد الله بن زيد الجرمي البصري، من أعلام التابعين، وبقية رجاله ثقات. وله شاهد من حديث ابن عباس ، أخرجه ابن ماجه (٢١٣٠)، وفي إسناده المسعودي وهو ثقة لكنه اختلط، والراوي عنه عبد الله بن رجاء من الذين نص أحمد على أنَّهم سمعوا منه قبل اختلاطه، كما فِي الكواكب النيرات (٣٥) وهو حسن الحديث كما يظهر من ترجمته فِي التهذيب (٣٧٣٧) وأما شيخه: فهو عبد الله بن إسحاق الجوهري، وصفه أبو حاتم بأنه شيخ، ووثقه ابن حبان بقوله: مستقيم الحديث، وهذا القول من ابن حبان يدل على أنه قد سبر حديثه وعرف كثرة موافقته للثقات، ومن ثَمَّ حكم باستقامة حديثه، ولذلك ترجمه الحافظ فِي التقريب بالثقة الحافظ، وعلة هذا الإسناد هو شيخ المسعودي: حبيب بن أبي ثابت، وهو إن كان ثقة إلا أنه كثير التدليس كما وصفه بذلك الدارقطني وابن خزيمة، وعده الحافظ فِي الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين مِمَّن لا تقبل روايتهم إلا ما صرحوا فيه بالسماع، وقد عنعن هنا عن سعيد بن جبير، ومن ثَمَّ هذا إسناد ضعيف، لكنه شاهد قوي لثبوت قصة إبل بوانة.

=

((نذر[١] رجل أن ينحر[٢] إبلاً[٣] ببوانة[٤] فسأل النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال -أي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم-: هل كان فيها وثن[٥] من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: أوف[٦] بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر فِي معصية الله ولا فيما لا يَملك ابن آدم)).

معاني مفردات وشرح قصة إبل بوانة:

(١) **نذر: النذر فِي اللغة:** الإلزام والعهد، **وفِي الشرع:** هو إلزام المكلف نفسه لله عملاً أو عبادة أو شيئًا يؤديه، مثل أن ينذر أن يصوم لله ثلاثة أيام، أو أن يصلي لله ركعتين، أو أن يتصدق ببعض المال، وهكذا، واشترط بعض العلماء أن يكون هذا العمل أو العبادة غير واجب بالشرع، فلا ينذر مثلاً أن يصلي لله فريضة الظهر، أو أن يصوم رمضان، أو

= وله شاهد آخر بإسناد ضعيف، أخرجه أحمد فِي مسنده (٣٦٦/٦) وابن أبي شيبة فِي مصنفه (٩٦/٣).

أن يذبح أضحية العيد على من يرى وجوبَها، وهذا القول له وجاهته، وإن كنت أرى أنه تحصيل حاصل، حيث إنه فِي الغالب لا يفكر الإنسان أن ينذر مثل هذه الواجبات، بل غالبًا يتجه إلى نذر المستحبات.

(٢) **ينحر:** هو قطع اللبة فِي الإبل، وفي الغالب يكون النحر فِي الإبل، والذبح فِي الغنم.

(٣) **إبلاً:** وهو اسم جمع وليس له مفرد من لفظه، ومعناها: البعير -أي المعروف بالـ "جمل" عند العامة.

(٤) **بُوانة:** اسم مكان، **قال البغوي:** موضع فِي أسفل مكة دون يَلَمْلَم. **وقال أبو السعادات:** هضبة من وراء ينبع.

(٥) **وثن:** هو كل ما يُعبد من دون الله من شجر أو حجر، أو قبر، أو ضريح، سواء كان منحوتًا على صورة معينة أم لا.

ذكر الطبري عن مجاهد أنه قال: الصنم ما كان منحوتًا على صورة، وأما الوثن ما كان موضوعًا على غير ذلك، فالوثن أعم من الصنم، فالأصنام أوثان، والقبور أوثان إذا عُبدت من دون الله.

(٦) **أوف:** فعل أمر بالوفاء.

الفوائد والدروس من قصة

إبل بُوانة:

الفائدة الأولى: مشروعية النذر حيث إن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- لَم ينكر على هذا الرجل قيامه بالنذر لكنه سأل عن أمور أخرى تتعلق بمكان النذر. وإن كانت هذه المشروعية ليست مطلقة بل مصحوبة بالكراهة، فالأصل فِي النذر الكراهة، وذلك لقول النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- عنه: ((**لا يأتي بخير** -أي النذر- **وإنَّما يستخرج به من البخيل**))*.

وذلك لأن الإنسان يلزم نفسه بِما جعله الله فِي حلٍّ منه، وتشتد الكراهة للنذر إذا كان مقيدًا، أي أن يُعلق المرء النذر بحصول خير معين له مثل أن ينذر لله حج بيته إذا شفى الله ولده، وهذا النذر المقيد يجعل هذا الشخص يعتقد أحيانًا أن الله لن يحقق له هذا الخير إلا إذا نذر هذا النذر، وهذا يُخالف إحسان الظن بالله والرجاء فِي سعة فضله ورحمته، والله يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات بغير نذر، ولكن على المرء أن يستجيب لله بطاعته وترك معصيته، ويلتزم آداب الدعاء، ويتحر أوقات الإجابة، يُستجاب له بإذن الله، لكن عليه أن لا يستعجل الإجابة، بل يواظب على الدعاء وعلى

---

* أخرجه البخاري ومسلم.

إصلاح نفسه، ويُحسن الظن بالله، لعل فِي تأخير الاستجابة خيرًا لا يعلمه.

الفائدة الثانية: الفطنة الَّتِي كان يتمتع بِها رسول الهدى -صلى الله عليه وآله وسلم-، فإنه عندما علم أن الرجل أراد تخصيص مكان معين للوفاء بنذره، غلب على الظن، أن هذا المكان فيه علة معينة تميزه عن غيره، ولما كانت معالم الجاهلية مازال آثار منها باقية، واعتاد الناس التقرب بالذبح والنذر لهذه الأوثان، كان من الفطنة سؤاله عن هذا، وبيان حكم الشرع فِي هذه الأفعال، وهذا أيضًا من حرصه -صلى الله عليه وآله وسلم- على أمته، بتعليمهم توحيد الله، وتحذيرهم من كل ما يخالف هذا التوحيد.

وفي العدد الثاني عشر من السنة الخامسة والعشرين لمجلة التوحيد نُشِرت فتوى طيبة فِي حكم النذر لغير الله، وهذا نصها:

"نشرت جريدة الأخبار فِي العدد (٢٧٣٣) بتاريخ ١٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ الْمُوافق ١٩٩٧/٣/٢٢م خطابًا من معالِي وزير الأوقاف د. محمود حمدي زقزوق موجهًا إلى أ/ أحمد رجب، وقد تضمن الخطاب فتوى هامة تتعلق بالنذر لغير الله، وقد جاء فِي الفتوى: "أود أن أوضح أن النذر لأصحاب

الأضرحة والأولياء الصالحين باطل بإجماع الفقهاء، لأنه نذر لمخلوق، والنذر عبادة وهي لا تكون لمخلوق، وإنَّما تكون للخالق، والنذر لله من العبادات القديمة، ويعد وسيلة من وسائل التقرب إلى الله، وقد أقر الإسلام النذر لله، وجعل الوفاء به ملزمًا، أما النذر لغير الله، فإنه فضلاً عن أنه باطل وغير مشروع، فإنه لا يجوز الوفاء به، ومن جانبنا نقوم بتوجيه أئمة المساجد إلى توضيح ذلك لجماهير الناس" اهـ.

والتوحيد تسوق هذه الفتوى إلى المرتزقة، وأدعياء الزهد الذين عاشوا حينًا من الدهر يتأكلون من أموال النذور المحرمة عملاً بالحقيقة القائلة: "إن الصوفية قد أصبحت جمع نذور، وتقديس قبور".

كما ترجو التوحيد من الدعاة بصفة عامة أن تقرأ هذه الفتوى على المصلين فِي المساجد عقب الصلوات، وأن تعلق فِي لوحات بالمساجد ظاهرة يراها الناس.

كما نتقدم بالشكر والتقدير لمعالي الوزير الذي أراح بِهذه الفتوى قلوب المؤمنين الصادقين، وأقام بِها الحجة على سائر المريدين، وهكذا شأن العلماء العاملين، لا يرضون الناس بسخط الله.

كما تؤكد هذا الفتوى المباركة على حقيقة هامة نكررها

دائمًا ونقررها، وهي أن الأزهر ليس هو الصوفية كما يتوهم البعض أو يظنون، والحمد لله أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا. وصلى الله على نبينا مُحمَّد وآله وصحبه وسلم. اهـ

رئيس التحرير

الفائدة الثالثة: نستفيد من السؤال الأول الذي سأله النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- لهذا الرجل أن الذبح بمكان يُذبح فيه لغير الله محرم، وإن كان قصدك أنت الذبح لله وحده.

وذلك التحريم لعدة أسباب:

منها: عدم التشبه بالمشركين، وعدم الاختلاط بِهم حال شركهم بذبحهم الأضاحي لغير الله.

ونستفيد أيضًا: أن الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- لَم يقل للرجل: تعال اذبح عند بيتي أو تحت قدمي، أو اذبح باسم رسول الله، أو اذبح عند المقام الفلاني أو عند قبر نبِي أو ولي، فإن كل هذه الأماكن تدخل فِي عموم لفظ الأوثان إذا عُبِدت من دون الله، وبالتالي تدخل فِي نَهي النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- عن الذبح عندها ولو كان الذبح عند قبور الصالحين جائزًا ومشروعًا، لأرشد إليه معلم الخير -صلى الله عليه وآله وسلم- وحثنا عليه حَتَّى تقبل ذبائحنا، كما يعتقد بعضُ الجاهلين أن ذبحه عند مقام الحسين أو السيد البدوي

أو السيدة زينب أرجى للقبول عند الله، ولو كان هذا جائزًا، لكان بيت رسول الله فِي حياته أعظم من كل هذه المقامات والأضرحة، فلما لَم يأمر النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- هذا الرجل بمثل هذا، دل هذا على تحريم الذبح فِي مثل هذه الأماكن إذا اعتقد هذا الذابح أن أصحاب هذه الأماكن وسيلة له إلى الله، أو إن اعتاد بعض الجاهلين الذبح عندها التماسًا لبركة المكان، وهذا كله من الشرك، والذي يذبح لغير الله وقع فِي الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بتوبة قبل الموت، سواء كان هذا الغير نبيًّا أو وليًّا، وذلك لعموم قول النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**لعن الله من ذبح لغير الله**». والذبح عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده.

FFFFF

قصص عن مس وصرع الجن للإنس

القصة الأولى: قصة عثمان بن أبي العاص:

قال ابن ماجه فِي سننه (٣٥٤٨) حدثنا مُحمَّد بن بشار، حدثنا مُحمَّد بن عبد الله الأنصاري حدثني عيينة بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن عثمان بن أبي العاص قال: «لما استعملني[١] رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- على الطائف، جعل يعرض لي[٢] شيء فِي صلاتي، حَتَّى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك رحلتُ على -وفي رواية: دخلتُ على- رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: **ابن أبي العاص؟** قلت: نعم، يا رسول الله، قال: **ما جاء بك؟** قلت: يا رسول الله عرض لي شيء فِي صلاتي، حَتَّى ما أدري ما أصلي، قال: **ذاك الشيطان، ادنه**[٣]. فقال: **اجلس على صدور قدميك.** قال: فدنوتُ منه فجلستُ على صدور قدمي، قال:

افغر[٤] **فاك**[٥] ففغرت فاي. قال: فضرب صدري بيده، وتفل[٦] فِي فمي، وقال: **اخرج عدو الله من صدره.** ففعل ذلك ثلاث مرات، ثُمَّ قال: **الحق بعملك.** فقال عثمان: فلعمري[٧] ما أحسبه خالطني -وفي رواية: خابطني[٨]- بعد».

القصة الثانية: قصة الصبي والثلاث شياه:

قال الإمام أحمد فِي مسنده (١٧٠/٤): ثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن يعلى بن مرة قال: «لقد رأيتُ من رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ثلاثًا ما رآها أحد قبلي، ولا يراها أحد بعدي، لقد خرجتُ معه فِي سفر، حَتَّى إذا كنا ببعض الطريق، مررنا بامرأة جالسة، معها صبي لَها، فقالت: يا رسول الله، هذا صبي أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، يؤخذ[٩] فِي اليوم ما أدري كم مرة؟ قال: **ناولنيه.** فرفعته إليه، فجعلته بينه وبين واسطة الرحل، ثُمَّ فغر فاه، فنفث فيه ثلاثًا، وقال: **باسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله. ثُمَّ ناولها إياه،** فقال: **القينا فِي الرجعة فِي هذا المكان فأخبرينا ما فعل.** قال: فذهبنا ورجعنا فوجدناها فِي ذلك المكان معها شياه ثلاث، فقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: **ما فعل صبيك؟** فقالت: والذي بعثك بالحق، ما حسسنا منه شيئًا حَتَّى الساعة فاجتزر هذه الغنم،

قال: **انزل فخذ منها واحدة ورد البقية))*.**

الشرح ومعاني المفردات لقصص المس والصرع:

الصرع: لغة: هو الطرح بالأرض، وهو علة معروفة**، وهو داء يشبه الجنون*.

وقد أجاد ابن القيم -رحمه الله- فِي زاد المعاد فِي بيان أنواع الصرع حيث قال: "الصرع صرعان: صرعٌ من الأرواح الخبيثة الأرضية وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء فِي سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة

---

* انظر تخريج القصتين فِي كتاب "**برهان الشرع فِي إثبات المس والصرع**" للشيخ علي بن حسن ابن عبد الحميد -حفظه الله- (ص١٤٨ إلى ص ١٦٧) في بحث جيد أثبت فيه ثبوت الحديثين، ورد على من قال بضعفهما ردًّا علميًّا قويًّا، وانظر كذا السلسلة الصحيحة (٢٩١٨) للعلامة الألباني -رحمه الله-.

** انظر لسان العرب (١٩٧/٨).

* انظر المصباح المنير (ص١٢٩) مادة صَرَعَ.

العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد نص على ذلك بقراط فِي بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنَّما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج.

وأما جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ومن يعتقد بالزندقة فضيلة، فأولئك ينكرون صرع الأرواح، ولا يقرُّون بأنَّها تؤثرُ فِي بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس فِي الصناعة الطبية ما يدفع ذلك والحس والوجود شاهد به، وإحالتهم على غلبة الأخلاط هو صادق فِي بعض أقسامه لا فِي كلها.

وقدماء الأطباء كانوا يسمون هذا الصرع: المرض الإلهي، وقالوا: إنه من الأرواح، وأما جالينوس وغيره فتأولوا عليهم هذه التسمية وقالوا: إنَّما سموه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث فِي الرأس، فتضر بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ.

وهذا التأويل نشأ من جهلهم بِهذه الأرواح وأحكامها، وتأثيراتِها، وجاءت زنادقة الأطباء فلم يثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده.

ومن له عقل ومعرفة بِهذه الأرواح وتأثيراتِها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم" اهـ.

معاني المفردات:

(١) **استعملني:** أي أعطاني ولاية.
(٢) **يعرض لي:** أي يعترضني.
(٣) **ادنه:** اقترب.
(٤) **افغر:** أي افتح، كما فِي النهاية (٣/٤٦٠).
(٥) **فاك:** أي فمك.
(٦) **تفل:** شبيه بالبزاق لكنه أقل منه، كما فِي المختار (ص٣٢).
(٧) **فلعمري:** صيغة قسم.
(٨) **خابطني:** أي أصابني.
(٩) **يؤخذ:** أي يُصرع.

الفوائد والدروس من قصص عن المس والصرع:

الفائدة الأولى: الإيْمان بوجود الصرع والمس من الجن للإنس، ونفهم ذلك من قول النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- لعثمان بن أبي العاص -: «**ذاك شيطان**». عندما شكى له عثمان ما ينتابه فِي صلاته، ثُمَّ قوله: «**اخرج عدو الله من صدره**». مِمَّا يدل دلالة واضحة على أن الجني قد يسكُنُ بدن الإنسي فيسبب له هذا الصرع، وكذلك ما ذكره -صلى الله عليه وآله وسلم- فِي قصة الصبي يدل على ذلك أيضًا، مما يثبت خطأ قول من قال: إن الجن -أي الشيطان- ليس له تأثير على الإنس إلا بالوسوسة فقط، وهذان الحديثان كافيان لإبطال هذا الادعاء، هذا بخلاف بعض الأدلة الأخرى من الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى فِي وصف من يأكل الربا: ﴿**لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [البقرة:٢٧٥].

وهذا الأمر هو من الأمور الغيبية الَّتِي لا دخل للعقل فيها، ولا سبيل إلى إثباتِها إلا بالشرع، والإيْمان بالغيب خصيصة من أهم خصائص المؤمنين، وتحكيم العقل على النصوص الشرعية وخاصة منها المتعلقة بالغيب، خصيصة من أهم خصائص أهل البدع المخالفين لسبيل الصحابة والسلف الصالح، وهم من يسمون أنفسهم فِي عصرنا الحالي

بالعقلانيين، تلبيسًا وتدليسًا على الناس، ويرفعون شعارًا فيه شيء من الحق على ضوء الفهم السليم: وهو "إن الإسلام دين يقوم على العقل" وهذا قد يكون حقًّا إذا أريد به أن العقل السليم يقبل تعاليم الشرع ونصوصه الغيبية ولا يردها لتوافقها مع فطرته، ولا يعنِي هذا أن العقل يكون حاكمًا على الشرع والغيب، يَقبل منه ما يشاء، ويرد ما يشاء بغير ضابط ولا رابط كما يريد هؤلاء.

فاحذر -حماك الله- من هؤلاء اللاعقلانيين ولا تنخدع بتزيينهم هذا الإنكار للغيبيات، أنه موافق للعقل، ولو عقلوا فعلاً وأنصفوا لعلموا أن كثيرًا من الاكتشافات العلمية الحديثة كانت من سنوات ليست بعيدة، لا يتخيلها العقل وتناسى أيضًا هؤلاء أن أرواحهم الَّتِي بين جنبَيْهِم هي من الغيب الذي لا يعلمون عنه أدنى شيء، لأنَّها من أمر الله المحجوب عن عقولنا، وأن هذا المس والصرع هو مرضٌ يصيب الروح بالأصالة ثُمَّ يظهر أثره على البدن، فكيف ينكر هؤلاء بعقولهم ما لا دخل للعقل فيه، سواء كان عقلاً سليمًا أو غير سليم؟!.

والعجيب أنَّهم يرهقون أنفسهم وعقولهم بالبحث عن تأويل سائغ للنصوص الشرعية المثبتة للصرع، ثُمَّ يمر

الزمان ويظهر بطلان هذا التأويل بالعقل أيضًا إذن هؤلاء يتخبطون، ولا تطمئن قلوبُهم إلى الشرع المعصوم الميسر القريب للفطر والعقول السليمة.

وإذا عجزوا عن التأويل أو تبين لهم بطلان تأويلهم، لجأ بِهم الشيطان إلى سبيل تعطيل النص عن مدلوله تمامًا بالطعن فِي ثبوته، والبحث عن أي علة فِي إسناده، وهلَّم جرًّا... والخلاص من هذا التخبط هو اتباع ما صحَّ من الحديث والأثر بغير تأويل ولا تحريف، ولهذا كان شعار الفرقة الناجية أهل الحديث والأثر: "عليك باتباع آثار من سلف".

الفائدة الثانية: أن علاج هذا الصرع لا يكون إلا بذكر الله من قرآن أو دعاء مسنون لهذا، ولا يتم بالذهاب إلى السَّحَرة، والمشعوذين، والدجالين، فلنتأمل كيف عالج رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عثمان، والصبي؟ نعرف ضلال هؤلاء السحرة الذين يقومون بالنطق بترنيمات سحرية وطلاسم على المريض، وأحيانًا يزعمون أنَّها من القرآن، وهذا ضلال مُبين، والهدي النبوي هنا واضح، وليس فيه تكلف أو تنطع.

FFFFF

قصة الفتى العروس والحية

قال مسلم فِي صحيحه (٢٢٣٦): حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح، أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرني مالك بن أنس عن صيفي، وهو عندنا مولى ابن أفلح أخبرني أبو السائب مولى هشام بن زهرة:

«أنه دخل على أبي سعيد فِي بيته، قال: فوجدتُه يُصلي، فجلستُ أنتظرهُ حَتَّى يقضي صلاته، قال: فسمعت تحريكًا[١] فِي عراجين فِي ناحية البيت فالتفتُّ فإذا حيَّةٌ، فوثبت لأقتلها فأشار إليَّ أن اجلس، فجلستُ، فلما انصرف أشار إلى بيت فِي الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ قلت: نعم، قال: كان فيه فتًى منا حديث عهدٍ بعُرسٍ، فخرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى الخندق، قال: فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بأنصاف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يومًا، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: **خُذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قُريظة**. فأخذ الرجل سلاحه ثُمَّ رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها الرمح[٢] ليطعنها به، وأصابتهُ غيرة،

فقالت: اكفف[٣] عليك رمحك حَتَّى ترى ما فِي بيتك، فدخل فإذا هو بحية منطوية[٤] على فراشه، فركز[٥] فيها رمحه، فانتظمها[٦] فيه، ثُمَّ خرج، فركزه فِي الدار، فاضطربت الحية فِي رأس الرمح، وخرَّ الفتى صريعًا فما ندري أيهما كان أسرع موتًا، الفتى أم الحية. فجئنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فذكرنا ذلك له، وقلنا: يا رسول الله، ادع الله يُحييه لنا، فقال: **استغفروا لصاحبكم.** ثُمَّ قال: **إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتم منها شيئًا فآذنوه[٧] ثلاثة أيام، فإن بدا[٨] لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنَّما هو شيطان**)).

الشرح ومعاني المفردات لقصة الفتى العروس والحية:

(١) **تحريكًا:** أي شيء يتحرك.

(٢) **فأهوى إليها الرمح:** أي نزل به.

(٣) **اكفف:** أي انتظر وارجع رمحك إلى مكانه.

(٤) **منطوية:** أي ملتفة حول نفسها.

(٥) **ركز:** أي غرز.

(٦) **انتظمها:** أي طعنها بالرمح حَتَّى أنفذهُ من الجهة الأخرى*.

(٧) **آذنوه:** أي أعلموه وذلك بإنذاره بالخروج، وجاء فِي رواية: «**إن لهذه البيوت عوامر، فإذا رأيتم شيئًا منها فحَرِّجوا عليها ثلاثًا فإن ذهب، وإلا فاقتلوه فإنه كافر**».

(٨) **بدا:** أي ظهر.

---

* لسان العرب (٥٧٩/١٢).

الفوائد والدروس من قصة "الفتى العروس والحية":

الفائدة الأولى: جواز الحركة فِي الصلاة للحاجة حيث إن أبا سعيد ـ لما رأى أبا السائب على وشك قتل الحية، أشار إليه بيده أن لا يفعل، وذلك وهو يُصلي.

الفائدة الثانية: حب الصحابة -رضوان الله عليهم- للجهاد فِي سبيل إعلاء كلمة الله، وعدم تفضيلهم الزوجة والولد عليه، فبرغم أن هذا الفتى كان فِي أول أيام عُرسه، ورغم ذلك لَم يتكاسل عن الخروج مع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فِي غزوة الخندق.

الفائدة الثالثة: النخوة والغيرة المحمودة الَّتِي كان يتمتع بِها رجال الصدر الأول من الإسلام، والتي هي بالأصالة من شيم العرب فجاء الإسلام فعضدها وزادها قوة ووجهها لنصر الحق، فهاهو هذا الفتى -صاحب قصتنا- رغم أنه فِي الجهاد ومع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا أن هذا لَم يمنعه عن رعاية نسائه والاطلاع على أحوالهن مادام وجد لذلك سبيلاً، وشتان بين حال هذا الفتى الصحابي الذي

جمع بين الشجاعة وقوة التوكل وحسن الأخذ للأسباب، وبين من يزعمون الخروج فِي سبيل الله للدعوة ويتركون نساءهم وأولادهم بلا رعاية ولا صيانة، وأحيانًا ولا حَتَّى مالاً ينفقون منه، بزعم أنَّهم متوكلون على الله، والله المستعان.

وتظهر نخوة هذا الفتى ورجولته أيضًا عندما عاد إلى امرأته ووجدها خارج دارها فهمَّ بقتلها، والظن أنه لَم يكن ليقتلها دون تبين سبب خروجها، وإنَّما فعل هذا تَهديدًا وزجرًا وردعًا لَها حَتَّى لا يتكرر منها أمر خروجها من داره فِي غيابه بغير إذنه، حَتَّى لا تتهاون بِهذا الأمر.

وهكذا كان حال الرجال الذين احتفظوا بفطرة الرجولة الَّتِي فطرهم الله عليها، لذلك سادوا وعَلَوْا على كل الأمم، وحازوا المراتب العليا عند الله، والرجولة صفة يجب توفرها فِي جنس الذكور، لكن قد تتخلف أحيانًا عن أفراد منهم، وأحيانًا فِي أمم كاملة، فتجد ذكورهم لا يختلفون كثيرًا عن نسائهم، ومن أجل ذلك لعن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- المتشبهين من الرجال بالنساء، ومن أجل ذلك تجد أنه عندما أظهر سعد غيرته المحمودة ونخوته عندما قيل له: أنه فِي حالة وقوع امرأتك فِي الزنا ومشاهدتك إياها فِي هذه الحالة، يجب عليك الإتيان بأربعة شهود لإثبات

الدعوى، وكان هذا هو التشريع العام فِي بداية الأمر، اشتاط سعد غضبًا ليس اعتراضًا على الحكم الشرعي ولكن غيرة لعرضه، ولوَّح بأنه ليس لهذا الزاني الذي يزني بامرأته إلا السيف، لَم يُنكر عليه الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- هذه الغيرة، عندما عجب الناس من رده هذا بل أجاب بأنه -صلى الله عليه وآله وسلم- أغير من سعد، والله أغير منه، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ثُمَّ نزلت بعد آيات اللعان.

ولعل فِي هذا الزمان مازال كثير من الرجال يحتفظون بشيء من هذه الأنفة، وأقصد رجال المسلمين وأقصد بالأنفة: الغيرة على نسائهم أن لا يقعن فِي فاحشة الزنا؛ وأما جنس الذكور من أهل الكفر فِي شتى البلاد فِي هذا الزمان فقد فَقَد أغلبهم –إن لم نقل كلهم- صفة الرجولة بالكلية وهذا واضح لمن يتأمل!

وأما المسلمون فرغم احتفاظ بعضهم بشيء من هذه الغيرة كما ذكرنا إلا أني أقول آسفًا: إنَّها غيرة هشة على وشك أن تزول إذا لَم نتدارك الأمر من الانتكاسة فِي هذه الهاوية، وهي هاوية تتبع آثار الغرب الكافر من اليهود والنصارى حذو القُذة بالقذة كما أخبر رسولنا -صلى الله

عليه وآله وسلم- حَتَّى نكاد ننهار إلى حالهم المزري من انعدام هذه الغيرة، وذلك أنك تجد على الرغم من احتفاظ الرجل المسلم بأصل هذه الغيرة فِي قلبه، إلا أن هذا الأصل صار هشًّا رقيقًا كما ذكرنا لذلك لَم يمنع هذا الرجل من منع نسائه من شتى الأسباب الَّتِي قد توقعهن فِي الفاحشة الكبرى، فتجد هذا المسلم يجلس مع امرأته أمام هذا الجهاز المفسد المسمى بـ"التلفاز" يرى امرأة شبه عارية تعانق رجلاً قد ادَّهن بمساحيق النساء ليصير وسيمًا، ولا يخجل ولا يغار أن ترى زوجه مثل هذا المشهد الذي يُسمى عند علماء الفقه بمقدمات الجماع، أو مقدمات الوقوع فِي فاحشة الزنا، والمصيبة الأكبر أن تجد هذا المسلم يرى مع بناته المراهقات مثل هذا المشهد الفادح، ولا ينبض فيه عِرقُ الرجولة، ثُمَّ إذا -حاشا لله- جرَّ الشيطان هذه البنت المسكينة إلى تقليد ما رأته فِي هذا المشهد مع أحد الشباب، ثُمَّ وقعت بالطبع فِي فاحشة الزنا، وعلم هذا الأب المسلم بذلك، تجده يموج ويثور ويظهر هذا الأصل الهش من الغيرة الباقية فِي قلبه، لكن قد فات الأوان، والله المستعان.

فهل من عودة إلى هذه الأخلاق السامية الَّتِي تخلَّق بِها الصحابة

-رضوان الله عليهم-؟ ألا نتأسى بِهذا الفتى ونغار على زوجاتنا وبناتنا، فلا نسمح لهن بالتكشف على الرجال بغير الحجاب الشرعي الساتر لبدن المرأة، هل تشتعل جذوة الغيرة فِي قلوبنا ونقتفي مجد أسلافنا الصالحين فِي القيام على بيوتنا بِما يصلحها ونحفظ الأمانة ونقي أنفسنا وأهلينا نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد؟ متَى نرى فِي شوارعنا مرة أخرى هذا الرجل القوَّام الغيور على أهله وبناته، الذي إن خرج بِهن فِي حاجة سرن خلفه متسترات متجلببات بجلباب ساتر لمفاتنهن، مختمرات بخمار ساتر لشعورهن وصدورهن، غير متعطرات ولا مظهرات حسنهن، وإذا كن فِي بيوتِهن لَم تطل إحداهن من شباك أو شرفة أو تفتح باب إلا لحاجة تستدعي ذلك وهي محتجبة متسترة، والمسئول عن هذا بالطبع هو هذا الرجل الذي عليه أن يؤدبَهنَّ بآداب الشرع، ودعك -هداك الله- من هذه الشعارات المزيفة الَّتِي نسجها إبليس، واحفظ عرضك ونساءك وكن مثل هذا الفتى الغيور الصحابي الباسل.

الفائدة الرابعة: وهذه الفائدة موجهة للنساء، كما وجهنا الفائدة السابقة للرجال وهي مستفادة من رد فعل هذه العروس -أي: زوج الفتى- عندما أقبل عليها الفتى برمحه

ليطعنها غيرة منه على خروجها، أو قل: بروزها من داره بغير إذنه، وهو رد فعل حكيم من امرأة متأدبة بآداب الشرع فِي حفظ حق الزوج ورعاية سيادته وقوامته عليها، فلقد بادرت بدفع الشك عن قلب الفتى بلفت انتباهه أن خروجها كان لعذر وهو وجود شيء غريب فِي بيته*، دفعها للخروج، والوقوف على باب الدار انتظارًا لعودته.

وتأملي أيتها الأخت المسلمة هذا الرد الطيب منها، فلم تقل لزوجها: كيف ترفع الرمح فِي وجهي؟ أو كيف تشك فيَّ؟ أو ما أشبه ذلك من الردود الفجة، وتأملي كيف أنَّها حفظت فتاها فِي غيبته، فبرغم هول ما رأته فِي بيتها وهي هذه الحية، لَم نسمع أنَّها بادرت بنداء جار من جيرانِها لنجدتِها، فيدخل دارها فِي غياب زوجها، بل صبرت حَتَّى عاد الزوج وصانت غيرته وراعتها فِي غيابه.

الفائدة الخامسة: الإيْمان بوجود الجن، وأنَّهم مُكلفون مثلنا، فمنهم مسلمون، ومنهم كافرون وهم الشياطين.

الفائدة السادسة: شجاعة الفتى ومبادرته بحماية أهله من

---

* وتأمل قولها: "فِي بيتك" بنسبة البيت إليه إمعانًا فِي إشعاره بسيادته عليها وأنَّها مقرة بِهذه السيادة، رغم أنه بيتها أيضًا بنص القرآن: ﴿وَلاَ تُخْرِجُوهُنَ مِنْ بُيوتِهِنَ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

الشر الذي وُجِد فِي بيته، وهكذا ينبغي أن يكون الرجل شجاعًا مقدامًا ولا ينبغي أن يكون جبانًا جذوعًا هلوعًا.

الفائدة السابعة: التأسي بالصحابة فِي اعتقادهم الصحيح فِي رسول الله، حيث إنَّهم سألوه أن يدعوه الله أن يحيي الفتى، ولَم يقولوا له: يا رسول الله أحيي الفتى، لأنَّهم يعلمون -بتعليم رسول الله- أنه بشر مثلهم لا يحيي ويميت، وإنَّما الإحياء والإماتة بيد الله وحده، فكيف بحال بعض المسلمين اليوم الذين يعتقدون فِي رسول الله أنه يملك كل صفات الألوهية والربوبية من الإحياء والإماتة وتصريف شئون الكون، والعلم بِما فِي قلوبِهم، فما أبعد هؤلاء عن حال الصحابة، وما أقربُهم من حال المشركين الذين بُعث فيهم رسول الله ليخرجهم من عبادة الأولياء والأموات والأنصاب إلى عبادة الله وحده.

الفائدة الثامنة: التأسي بالصحابي الجليل أبي سعيد الخدري فِي طمأنينته فِي الصلاة حيث إنه رأى هذه الحية تحت سريره ورأى أبا السائب على وشك قتلها، ورغم هذا لَم يفزع ويخرج من الصلاة، وكذلك التزامه بأمر الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بإبقاء هذه الحية وعدم المبادرة بقتلها أو إخراجها من البيت حَتَّى تمر ثلاثة أيام، وهذا من

كمال إيْمانه وتصديقه بصدق الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وأنه لا ينطق عن الهوى وأن النجاة من شر هذه الحية هو فِي الالتزام بأمره وهديه.

الفائدة التاسعة: إرشاد الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- الصحابة إلى الاستغفار للفتى، وهكذا كانت سُنته مع كل من مات من الصحابة فِي حياته أن يستغفر له وبأمر الصحابة بالاستغفار له، ولا نعلم أبدًا فِي أي حديث صحيح أنه قال لهم: "اقرءوا على صاحبكم الفاتحة". أو أمرهم بقراءة القرآن على قبره، مِمَّا يدل على أن هذا من البدع والمحدثات الَّتِي ليس لَها أصل فِي الدين.

FFFFF

قصة موت عثمان بن مظعون ـ

قال البخاري فِي صحيحه (٢٦٨٧): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: حدثني خارجة بن زيد الأنصاري: أن أم العلاء امرأة من نسائهم، قد بايعت النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- أخبرته:

«أن عثمان بن مظعون طار له سهمه[١] فِي السُّكنى[٢] حين أقرعت الأنصار سكنى المهاجرين، قالت أم العلاء: فسكن عندنا عثمان بن مظعون، فاشتكى فمرضناه، حَتَّى إذا توفِّي وجعلناه فِي ثيابه دخل علينا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فقلت: رحمةُ الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال لي النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم-: **وما يُدريك أن الله أكرمه؟**. فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: **أما عثمان فقد جاءه والله اليقين**[٣] **وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري -وأنا رسول الله- ما يفعلُ به**. قالت: فوالله لا أزكي أحدًا بعدهُ أبدًا، وأحزنني ذلك. قالت: فنمتُ فأريتُ لعثمان عينًا تجري، فجئتُ إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله

وسلم- فأخبرته، فقال: «**ذلك عمله**».

معاني المفردات والشرح لقصة موت عثمان بن مظعون:

(١)، (٢) **طار له سهمه فِي السكنى:** معنَى ذلك أن المهاجرين لما دخلوا المدينة -أي: هاجروا إليها- لَم يكن لهم مساكن، فاقترع الأنصار فِي إنزال كل واحد منهم فِي بيت من بيوت الأنصار، فوقع سهم عثمان فِي آل أم العلاء.

(٣) **اليقين:** أي الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر:٩٩]. أي التزم بعبادة الله وطاعته حَتَّى يأتيك الموت، وليس معناه كما فسره بعض جهال الصوفية: أي اعبد ربك حَتَّى تصل إلى مرتبة عندهم -تسمى اليقين- فإذا وصلت إلى هذه المرتبة فقد سقطت عنك تكاليف العبادة وصرت غير مكلف بعبادة الله وهذه زندقة، وهذه المرتبة عند هؤلاء القوم هي أعلى مراتب الدين، متغافلين عن حديث جبريل _ فِي بيان مراتب الدين وهي: الإسلام، ثُمَّ

الإيْمان ثُمَّ الإحسان، ثُمَّ وصف الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين بقوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لَم تكن تراه فإنه يراك**». وهذه من شدة مراقبة العبد لله فِي كل أحواله، حَتَّى كأنه يراه، وهذا بالطبع غير حاصل فِي الدنيا -أي رؤية العبد الله- فلم يبق إلا أنه يصل إلى اليقين برؤية الله له سبحانه من فوق عرشه ومراقبته له، وعلمه بحاله، وسماعه لأقواله، بل ومعرفة ما يدور فِي قلبه وصدره.

ومن هوس هؤلاء المخرفين، أنه إذا سوَّل الشيطان لهذا العابد أنه قد وصل إلى مرتبة اليقين، تجده يترك الصلوات الخمس، وصيام رمضان، بل وحتى غُسل الجنابة، بحجة أنه يطبق هذه الآية، والأعجب منه أن يعتقد الرعاع فِي هذا المخرِّف أنه من أولياء الله وأن له كرامات، وإنَّما هي وساوس شيطانية.

واليقين عند هؤلاء الصوفية: هو أن يفنى العبد فِي الاعتقاد بوجود الله فِي كل الكون.

وهذا اعتقاد فاسد من وجهين:

الأول: أن المشركين على مر الأزمان كانوا يعتقدون فِي وجود الله ولا ينكرونه كما قال الله عنهم: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ [لقمان:٢٥]. فكيف يكون

الاعتقاد فِي وجود الله هو أعلى مراتب الدين، وهو لا يكفي لإثبات أدنى درجة من درجات الإيْمان، فلا يصير العبدُ مؤمنًا بمجرد اعتقاده بوجود الله، بل لا يكون مؤمنًا إلا إذا اعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله، وتوجه بكل أنواع العبادات لله وحده.

والثاني: هو أن مقتضيات اليقين عند هؤلاء القوم هو أن يعتقد العبد وجود الله فِي كل الوجود، ويفنى فِي ذات الله بزعمهم، وهذا هُراء مخالف للفطرة السليمة فضلاً عن أن يكون من أعلى مراتب الدين، فلقد تواترت أدلة القرآن والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح على أن الله بذاته المقدسة فوق عرشه مستوٍ عليه أي عالٍ عليه، استواء يليق بجلاله وهو سبحانه يرانا فِي كل مكان من فوق عرشه.

الدروس والفوائد من قصة موت عثمان بن مظعون:

الفائدة الأولى: مشروعية الاقتراع، أي عمل القُرعة.

الفائدة الثانية: التأسي بالأنصار -رضوان الله عليهم- فِي خلق المواساة حيث قاموا بمواساة المهاجرين وبذل المسكن والزوجة والطعام لهم بلا مقابل مادي أو مصلحة دنيوية مرتقبة بل طلبًا للدار الآخرة، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم مع إخوانه فيواسيهم عند حاجتهم، فيحضر الدواء للمريض منهم، ويعين العاجز على بلوغ حاجته، بل وإن استطاع أن يزوج الشاب الصالح منهم الذي لا يملك مؤنة الزواج، بأن يزوجه أخته أو ابنته بأقل الصداق وبعونه على إيجاد السكنى، لنال الأجر العظيم بإذن الله، وليضع أمام عينه، هذا الأنصاري الذي كان يملك أكثر من زوجة، فكان يقول لأخيه المهاجري: اختر من شئت منهن فأطلقها لك لتتزوجها، ألا تشعر بِهذا السمو فِي الإيثار والمواساة، فتسعى بإخلاص على التشبه بالقوم فتحشر معهم.

الفائدة الثالثة: حكم الشهادة لشخص معين أنه قد أكرمه

الله وغفر له، أو رحمه، أو أدخله الجنة، ويدخل فِي هذا حكم قول: "المرحوم"، و"المغفور له" للميت المسلم على سبيل الإخبار والجزم، وكذلك الحكم بالشهادة لمسلم معين.

والقول الذي عليه أكثر العلماء وأهل الحديث وهو الصحيح الذي تجتمع به الأدلة: هو أنه لا يُشهد لأحدٍ مُعَين بجنةٍ ولا نار، إلا لمن شهد له الشرع مثل الذين بشرهم الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بالجنة من الصحابة وعلى رأسهم العشرة، والأدلة على هذا القول هي:

١- حديثنا هنا، واستنكار النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- على أم العلاء شهادتِها لعثمان أنه قد أكرمه الله، وتعقيبه هذا بقوله: «**والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به**». هكذا وقعت هذه الرواية فِي كتاب الشهادات من صحيح البخاري، وقد أخرجها البخاري من طريق آخر فِي كتاب الجنائز برقم (١٢٤٣) بلفظ: «**والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي**». وهذه الرواية الأخيرة هي المشهورة.

وكلتا الروايتين معناهما صحيح، فإن رسول الله لا يدري ما يُفعل بأي مسلم إلا بوحي من الله، وكذا هو لا يدري ما يُفعل به نفسه -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا بإعلام الله له، وقد أعلمه الله سبحانه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما

تأخر، فإن علمنا أن هذا هو حال الرسول أفضل البشر وأقربُهم إلى الله، فكيف يسوغ لمسلم أن يعتقد أن هناك أحد مِمَّن هو بالطبع أقل منْزلة من رسول الله يجزم لنفسه فضلاً على أن يجزم لغيره أنه قد غُفِر له أو أن الله قد رحمه وأدخله الجنة، بل وصل الحال ببعض المغفلين أنه أصبح يشتري من كهان المقامات والأضرحة صكوك غفران أو صكوك لدخول الجنة من البدوي والدسوقي وغيرهما من الذين يعبدون من دون الله، متشبهين بحال النصارى مع القساوسة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- النهي العام الوارد فِي قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢].

٣- الإخبار عن مصير أحد المسلمين أنه من أهل الجنة أو النار يُعد من الغيب ويحرم على المسلم التكهن بِهذا الغيب على سبيل الجزم والتعيين، حيث إنه من مفاتح الغيب الخمسة الَّتِي استأثر الله بعلمها، وهي المجموعة فِي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤].

وبِهذا نعلم فساد الاعتقاد الذي استشرى بين الناس أن

كل من دان بالإسلام فِي الظاهر حَتَّى موته، حُكم له بالرحمة والمغفرة، ومن ثَمَّ اعتاد الناس إطلاق لقب "المرحوم" عليه، وكذلك من مات فِي جهاد أو قتال للكافرين يقال عنه: "الشهيد فلان" وهذا أيضًا خطأ ومخالف للأدلة الَّتِي ذكرناها، ولكن نرجو للمسلم العادي الرحمة، ونرجو لقتيل المعركة الشهادة، فيُشرع أن نقول لفلان الميت: "رحمه الله" بدلاً من "المرحوم" فلان، فيكون هذا دعاء له بالرحمة والخير، وهذا ما قاله رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فِي هذا الحديث حيث قال: «**وإني لأرجو له الخير**». وكذلك نقول على قتيل المعركة: نرجو له الشهادة، أو نسأل الله أن يتقبله فِي الشهداء.

ومنبع هذا الاعتقاد الفاسد هو داء الإرجاء اللعين الذي يُعد من أسوأ البدع الَّتِي ابتليت بِها الأمة، ويتمثل هذا الداء فِي اعتقاد أن الإيْمان يقتصر على قول اللسان فقط أي الشهادة باللسان فقط، دون النظر إلى اعتقاد القلب وأعمال الجوارح، أو اعتقاد أن الإيْمان هو تصديق القلب فقط وإن لَم ينقاد بقلبه وجوارحه أو يشهد بلسانه بالتوحيد، ومن ثَمَّ أصبح أكثر المسلمين يشهدون بألسنتهم بـ "لا إله إلا الله" ثُمَّ هم يأتون بأعمال كثيرة شركية قد تنقضها مثل دعاء غير الله،

ومع ذلك يظنون أن النطق بِهذه الكلمة الطيبة يكفيهم وإن وقعوا فِي الشرك فِي العبادة، ويستتبع ذلك أن عندهم كل من مات وهو ينطقها فهو مرحوم جزمًا ومن أصحاب الشفاعة، وإن فعل ما فعل من أفعال الشرك أو الكبائر.

FFFFF

قصة الرجل المتوكل والإمام أحمد

قال أبو بكر الخلال*: أخبرني مُحمَّد بن أحمد بن جامع الرازي قال: سمعت أبا معين بن الحسن الرازي قال: شهدت أحمد بن حنبل جاءه رجل من أهل خراسان فقال له: يا أبا عبد الله معي درهم، وأراه -قال-: أحج بِهذا الدرهم؟ فقال له أحمد: "اذهب إلى باب الكرخ[١] فاشتر بِهذا الدرهم منًّا[٢] واحمل على رأسك حَتَّى يصير عندك ثلثمائة فإذا صار عندك ثلثمائة فحج" قال: يا أبا عبد الله ما ترى مكاسب الناس[٣] قال أحمد: "انظر إلى هذا الخبيث يريد أن يفسد على الناس معايشهم" قال: يا أبا عبد الله أنا متوكل. قال: "فتدخل البادية وحدك أو مع الناس؟ قال: لا، مع الناس. قال: كذبت لست أنت بمتوكل، فادخل وحدك وإلا فأنت متوكل على جُرُب[٤] الناس".

---

* أخرجه الخلال فِي كتابه "الحث على التجارة والصناعة والعمل، والإنكار على من يدعي التوكل فِي ترك العمل والحجة عليهم فِي ذلك" برقم (٩٤) وأخرجه من طريقه ابن الجوزي فِي تلبيس إبليس.

الشرح ومعاني المفردات لقصة الرجل المتوكل والإمام أحمد:

(١) **باب الكرخ:** اسم موضع أو سوق.

(٢) **منًّا:** الْمَنُّ هو العسل الحلو الذي ينْزل من السماء عفوًا بلا علاج، والكمأة من المن لا مئونة فيها ببذر ولا سقي.

(٣) **مكاسب الناس:** أي يقصد هذا الرجل سؤال الإمام أحمد عن رأيه فِي سعي الناس للكسب، وهو بِهذا يغمزهم بعدم التوكل حسب فهمه الخاطئ للتوكل.

(٤) **جُرُب:** واحدة جراب، وهو وعاء الزاد -أي الطعام والقوت-.

الدروس والفوائد من قصة الرجل المتوكل والإمام أحمد:

الدرس والفائدة الَّتِي تدور عليها محور هذه القصة هي:

أن الأخذ بالأسباب والسعي لطلب الرزق لا يُنافي

التوكل على الله، بل هو من التوكل، فهذا الرجل الخراساني أراد أن يحج بدرهم واحد وهو يعلم أن هذا الدرهم لا يكفي شيئًا أبدًا من نفقات الحج حيث إن نفقات الحج فِي هذا الزمان كما بيَّنه الإمام أحمد تصل إلى حوالي ثلثمائة درهم، وظن هذا الرجل بجهله أن التوكل على الله هو ترك الأخذ بالأسباب من توفير نفقات الحج والخروج إلى الحج بلا دراهم تكفيه، وحال هذا الرجل كحال الذي يطلب الولد بلا نكاح ولا زواج. فأبان له الإمام أحمد الطريق السليم للحج وحثَّه على السعي للحصول على أسبابه، ولما علم الإمام أحمد سوء اعتقاد هذا الرجل وخبثه وذلك عندما سأله الرجل بصورة المستهزئ عن رأيه فِي سعي الناس للكسب وطلب الرزق، وكأنه يريد أن يقول له: إن هؤلاء ليسوا بمتوكلين، حاجه الإمام أحمد وباغته بسؤال يكشف كذبه ودجله بأنه لو كان حقًّا متوكلاً بزعمه فليخرج إلى الصحراء وحده بلا رفقة من الناس، فبُهِت هذا الرجل ولَم يستطع إنكار عدم قدرته على هذا وأجاب بالنفي.

وخلاصة هذا الدرس: أن التوكل هو استفراغ الوسع والجهد فِي الأخذ بالأسباب والسعي فِي حدود ما أحله الشرع مع اعتماد القلب على الله وحده فِي تحقيق النتائج المرجوة

من وراء هذه الأسباب، والاعتقاد الجازم أن هذه الأسباب لا تملك فعل شيء بذاتِها، إنَّما هي أقدار يصرفها الله كيفما يشاء، وبِهذا لا تحزن على ما فاتك ولا تفرح بطرًا بِما هو آت، وتعلم أن ما أخطأك لَم يكن ليصيبك وما أصابك لَم يكن ليخطئك، وبِهذا نرى أن التوكل هو فِي الأصالة عملٌ قلبِيٌّ لا يعارض السعي بالجوارح، وأن ترك السعي وبذل الأسباب يُسمى: تواكلاً لا توكلاً، وهو محرم وليس من الإسلام فِي شيء بل هو من ابتداع الصوفية ومن شابَههم، وليس لهم فِي هذا التواكل سلفًا من الصحابة والتابعين بإحسان، بل كان الصحابة -رضوان الله عليهم- من أعظم الناس توكلاً على الله وأحسنهم جدًّا واجتهادًا فِي الأخذ بالأسباب.

قصة صاحب البطاقة

قال الترمذي فِي الجامع (٢٦٣٩): حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد حدثني عامر بن يَحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثُمَّ الحُبُلِيِّ قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً**[١] **كل سجل مثل مد البصر**[٢] **ثُمَّ يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون**[٣] **فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك**[٤] **فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات فِي كفة**[٥] **والبطاقة فِي كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**».

الشرح ومعاني المفردات

لقصة صاحب البطاقة :

(١) **السجل:** هو الصحيفة الَّتِي تكتب فيها الأعمال أي تسجل فيها.

(٢) **مد البصر:** أي أن هذه السجلات المملوءة بالمعاصي قد ملأت المكان على امتداد البصر، وهذا دلالة على كثرتِها.

(٣) **كتبتي الحافظون:** هما الملكان اللذان يكتبان أعمال العبد من الطاعة والمعصية، ويحفظون هذه الصحائف، وهما المذكوران فِي قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

(٤) **احضر وزنك:** قال المباركفوري فِي تحفة الأحوذي (٣٣١/٧) فِي شرح هذه العبارة: "أي الوزن الذي لك، أو وزن عملك، أو وقت وزنك أو آله وزنك، وهو الميزان، ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل، وتحقق الفضل" اهـ. وفي هذا دليل على إثبات اعتقاد أهل السنة فِي كون الأعمال توزن حقيقة، بميزان حقيقي.

(٥) **كفة:** أي فردة من زوجي الميزان. (التحفة ٣٣١/٧).

الفوائد والدروس من قصة

صاحب البطاقة :

الفائدة الأولى: أجلُّ فائدة من هذه القصة الَّتِي سوف تحدث لفرد من أفراد هذه الأمة، هو عظم شأن التوحيد، وأنه من أعظم الحسنات، وبالتالي، ينبغي أن يكون هو الشغل الشاغل عند كل مسلم أن يتعلمه، مثل ما تعلم الصلاة والطهارة.

الفائدة الثانية: اختلفت تأويلات أهل العلم فِي حال صاحب هذه البطاقة، وكيف كان نطقه لكلمة التوحيد سببًا فِي غفران سائر ذنوبه، ولَم يختلفوا أن المنافق ليس له حظ فِي هذا الحديث، وأن نطقه بلسانه لهذه الكلمة الطيبة لا ينفعه أبدًا عند الله إن مات على النفاق، وهذا ما أثبته المولى سبحانه فِي بداية سورة المنافقين فِي قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون:١]. فلا يغتر منافق أن مجرد نطقه بالكلمة سينفعه فِي الآخرة، كما نفعه فِي الدنيا، وخدع به المؤمنين، فإن الله لا يُخدع، والنفاق الأكبر يعنِي أن يُظهر المرء الإسلام فِي الظاهر بأن يُقر بلسانه بالشهادتين، وقد يُصلي ويصوم، ويزكي ويحج، مع كونه يبطن صورة من

صور الكفر الأكبر فِي قلبه، مثل بغض النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- أو بغض شيء من الشرع، أو الاستهزاء به أو الشك فِي صدق النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- فهذا بلا خلاف لا ينفعه إقراره باللسان بالشهادة، وإن نطق بِها آلاف المرات، وإن كان عنده آلاف البطاقات منها فِي صحائف أعماله يوم الحساب، فمن إذن الذي ينتفع بالشهادة؟.

نقول: لا ينتفع بالشهادة إلا من أتى بأصل الإيْمان وهو المتمثل فِي الإقرار باللسان بِها، واعتقاد القلب الذي يشمل التصديق الجازم بمعناها، والانقياد القلبي لما تتضمنه من معاني والتزامات، من إفراد الله بكل أنواع العبادة، بلا شريك، ومعنى الشهادة الذي يجب على العبد اعتقاده هو: **"لا معبود بحق إلا الله"** وليس معناه: **"لا خالق إلا الله"**.

ونفهم من هذا التعريف: أن من توجه بأي عبادة لغير الله عالِمًا مختارًا، مثل أن يدعو الأموات من الأنبياء والصالحين من دون الله، أو يستغيث بِهم وهم من الأموات الغائبين، فيعتقد سماعهم لدعائه واستغاثته مثل ما يسمع الله، ويعتقد قدرتِهم على كشف الضر عنه أو جَلب المنفعة له مثل ما يعتقد فِي الله، ويخشاهم مثل ما يخشى الله بل أحيانًا أشدَّ خشية، أن هذا المرء قد أشرك بالله شركًا أكبر، وخرج من دائرة المؤمنين،

ولا ينفعه نطقه بلسانه بِهذه الشهادة إن مات على ذلك.

الخلاصة: أن المنافق والمشرك الذي يدعو غير الله أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله من الأنبياء والأولياء، ليسا من أهل الانتفاع بِهذه البطاقة يوم القيامة، إذا ماتا بغير توبة من النفاق الأكبر والشرك الأكبر، حيث إن الله قد قضى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ**﴾ [النساء:١١٦].

فلم يبق إلا المؤمن الذي أتى بأصل الإيْمان من الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب، ولَم يقع فِي صورة من صور الشرك الأكبر من دعاء الأموات، والاستغاثة بِهم، وطلب المدد منهم، وغيره من العبادات الَّتِي لا تكون إلا لله وحده، لا تكون لنبي ولا ولي، إلا أنه قد اقترف كثيرًا من الكبائر العملية مثل الزنا وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور وأمثالها من الذنوب العملية الَّتِي هي ليست من الشرك والكفر، مع اشتراط كونه غير مستحل بقلبه لهذه المعاصي المتفق على تحريمها، أي أنه مع كونه يقع فيها، يعتقد ويعلم أنَّها محرمة، ويعتقد أنه لا يجوز له ولا لغيره أن يفعلها، إلا أنه يعتذر بأعذار واهية مثل كونه لا يستطيع تركها لغلبة الشهوة أو ضعف الإيْمان وكثرة الفتن وما أشبه ذلك، أما إن استحلها بقلبه بأن يجحد تحريمها أو يمتنع من

قبول الحكم الشرعي إباءً واستكبارًا وعنادًا فهذا أيضًا لا ينفعه النطق بالشهادة إن مات على ذلك لأنه قد وقع بِهذا فِي صورة من صور الكفر الأكبر.

وحال هذا العبد صاحب البطاقة، يدل على أنه مقرٌّ معترف بذنوبه رغم كثرتِها، غير مستحل لَها ولا جاحد لحرمتها.

ومن ثَمَّ فالذي يظهر لي، أن التأويل المناسب لهذا الحديث هو: أن صاحب هذه البطاقة هو عبدٌ شهد بلسانه وقلبه بالتوحيد بغير نقض لهما كما قررناه فيما سبق، وقد ارتكب ذنوبًا كثيرة ملأت سجلات، إلا أنه فِي لحظة من لحظات ارتفاع إيْمانه، شهد بكلمة التوحيد بصدق وإخلاص، مع اعترافه بضعف نفسه وسرعة وقوعه فِي المعاصي، فتم تسجيل هذه الشهادة الطيبة فِي هذه البطاقة، حَتَّى وافى الله بِها، فكافأه سبحانه على ما علم من إخلاص قلبه وصدقه حال نطقه بالشهادة خلال هذه اللحظة، ومن ثَمَّ قبل الله عمله.

لذلك كان السلف يقولون: لو أعلم أن الله قبل مني عملاً لكان خيرًا لي من الدنيا وما عليها، وقد يشبه حال صاحب هذه البطاقة حال أصحاب بدر من الصحابة الذين غفر الله لهم ما تقدم وما تأخر من الذنوب بِهذه الحسنة الكبيرة وهي:

حسن بلائهم وجهادهم فِي غزوة بدر، وقد يكون نطق بِهذه الشهادة بشروطها من الإخلاص والصدق والمحبة عند موته، فانطبق عليه حديث: ((**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**)).

ومهما كان حال صاحب هذه البطاقة، فالذي يعنينا ونستفيده من سرد قصته، هو صرف جل اهتمامنا لتصحيح عقيدتنا، وتنقيتها من كل صور الشرك الأكبر والأصغر، حَتَّى إذا لقينا الله ببعض الذنوب والمعاصي الَّتِي غلبنا عليها لضعفنا وجهلنا، ولَم نتب منها، كان توحيدنا لله سببًا بفضل الله فِي نجاتنا وغفران ذنوبنا مع التنبيه أن هناك من أهل التوحيد من سيعذب فِي النار لفترات طويلة قد تصل إلى مئات السنين نسأل الله السلامة، ومآله إلى الجنة بعد هذه الرحلة المريرة عافانا الله منها بغناه عنا، وفقرنا إليه.

FFFFF

قصة القرينان* أبو بكر وطلحة بن عبيد الله

قال مُحمَّد بن عاصم الثقفي الأصبهاني فِي (جزئه:٢٣)** حدثنا أبو أسامة عن طلحة بن يَحيى بن عبيد الله قال أخبرني أبو بردة عن مسعود بن حراش قال:

بَينا أنا أطوف بين الصفا والمروة فإذا ناس كثير يتبعون إنسانًا قال: فنظرتُ فإذا فتًى شابٌّ موثق يديه فِي عنقه. فقلت: ما شأن هؤلاء؟ قالوا: هذا طلحة بن عبيد الله قد صبأ[١]، وإذا وراءه امرأة تذمُرُه[٢] وتسبه. قلت: من هذه المرأة؟ قالوا: هذا أمه الصعبة بنت الحضرمي[٣]، قال

---

* مرفوع على الابتداء.

** طبعة دار العاصمة الرياض.

إسناده حسن: وأخرجه البخاري فِي تاريخه الصغير (ص٤٨)، وتاريخه الكبير (٤٢١/٧) (ج٤) (١٨٤٩) من طريق أبي أسامة قال: حدثني طلحة بن يَحيى بن طلحة به، أبو أسامة هو حماد بن أسامة: ثقة يدلس، وقد صرح هاهنا فِي رواية البخاري بالتحديث، فأمنا تدليسه ، وأما طلحة بن يَحيى فإنه صدوق يخطئ كما فِي التقريب وهو من رجال مسلم، وقد ذكر هذه القصة أيضًا ابن كثير فِي البداية والنهاية (٢٩/٣) وابن هشام فِي سيرته النبوية.

طلحة: فأخبرني عيسى بن طلحة وغيره أن عثمان بن عبيد الله[٤] قرن[٥] طلحة بن عبيد الله مع أبي بكر -رضي الله عنهما- ليحبسه عن الصلاة[٦] ويرده عن دينه وحرز[٧] يده ويد أبي بكر فِي قدٍّ[٨] فلم يدعهم إلا وهو يصلي مع أبي بكر".

الشرح ومعاني المفردات لقصة القرينان: أبو بكر وطلحة:

(١) **صبأ:** أي دخل فِي الإسلام، وكان كفار قريش يطلقون على كل من أسلم: الصابئ.

(٢) **تذمره:** جاء فِي رواية البخاري فِي تاريخه : "تذمه" وهذا أوضح، وأصح.

(٣) **الصعبة بنت الحضرمي:** هي أخت العلاء بن الحضرمي، وأم طلحة بن عبيد الله.

(٤) **عثمان بن عبيد الله:** هو أخو طلحة بن عبيد الله، وقد أثبت ابن حبان صحبته، ونفاها الذهبي، ورد ابن حجر قول

الذهبي، وذكره فِي القسم الأول من الصحابة فِي كتابه الإصابة.

(٥) **قرن:** أي أنه ربط طلحة وأبي بكر فِي قيد واحد.

(٦) **ليحبسه:** أي ليمنعه أن يُصلي.

(٧) **حرز:** فِي القاموس: "حرزه تحريزًا: أي بالغ فِي حفظه".

قلت: وهو كناية عن شدة توثيقه أي ربطه لهما فِي قيد قوي، وحبسه لهما فِي مكان محرز.

الدروس والفوائد من قصة: القرينان: أبو بكر وطلحة:

الفائدة الأولى: قول راوي القصة: مسعود بن خراش: "أنا أطوف بين الصفا والمروة" نستفيد منه أن العرب فِي الجاهلية قبل الإسلام، كانوا مازالوا ملتزمين ببعض الشعائر التعبدية الباقية من شريعة إبراهيم _، ومنها الحج، لكنهم غيروه وحرفوه عما كان عليه فِي ملة إبراهيم _ فكانوا يطوفون بالبيت عراة، ويقولون فِي تلبيتهم: "لبيك لا شريك

لك لبيك إلا شريكًا أنت تملكه ولا يملكك" وهذا يثبت ما قررناه فِي بعض فوائد القصص السابقة أن كفار قريش كانوا يؤمنون بالله خالقًا ورازقًا ومدبرًا، ولَم يكن سبب شركهم وكفرهم، إنكار وجود الله، كما يظن كثير من العامة، وكما يصور بعض أهل البدع وأدعياء العلم أن التوحيد هو: الإقرار بوجود الله واعتقاد أنه سبحانه الخالق والرازق فحسب، وبناء عليه أوهموا الناس أن دعاءهم غير الله لا يناقض توحيدهم ماداموا يقرون بوجود الله، وهذا جهل عظيم بِمعنى كلمة التوحيد، وبأصل دعوة الرسل، وما كان عليه أقوامهم من شرك فِي العبادة.

ففي هذه التلبية تصريح واضح من أهل الجاهلية أنَّهم يعلمون أن هؤلاء الشركاء الذين عبدوهم مع الله، لا يملكون الله، ولكن الله هو الذي يملكهم، ومع ذلك سموهم شركاء لله، وتوجهوا لهم بالدعاء والذبح والنذر مع الله، معتقدين أن هؤلاء الشركاء وسطاء بينهم وبين الله، كما قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

الفائدة الثانية: معرفة مدى الأذى الذي تعرض له الصحابة فِي بداية الدعوة، حتى من أقرب الناس إليهم وهم

الأم والأب والأخ، وأن هذا لَم يصدهم عن الالتزام بالحق الذي جاء من عند الله، ومن أجل ما تحملوه من أذى وصبر، فِي تحمل هذا الدين، كانوا أحق الناس بفهمه، وكانوا خير الناس بعد الأنبياء، وهم سلفنا الصالح، نسير على خطاهم ونتبع آثارهم.

FFFFF

قصة صبر عروة بن الزبير على مصيبة قطع رجله وموت ولده في يوم واحد

قال يعقوب بن سفيان الدوري فِي كتابه "المعرفة والتاريخ" (٥٥٣/١): حدثنا نوح بن هيثم العسقلاني قال: حدثنا الوليد بن عبد الله بن رافع* بن دريد عن أبيه قال:

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك فخرجت برجله قُرحة الآكلة[١]، فاجتمع رأي الأطباء على نشرها وإن لَم يفعل قتلته، قال: فأرسل إلى الوليد يسأله أن يبعث إليه الأطباء، قال: فأرسلني بِهم إليه، فقالوا: نسقيك مرقدًا[٢] قال: ولِمَ؟ قالوا: لئلا تحس بِما نصنع بك، قال: بل شأنكم بِها[٣] قال: فنشروا ساقه بالمنشار. قال: فمازال عضوًا عن عضو حَتَّى فرغوا[٤] منها، ثُمَّ حسموها[٥] قال: فلما نظر إليها فِي أيديهم تناولها، وقال: الحمد لله، أما والذي حملني عليك إنه

---

* هكذا بالنسخة المطبوعة من "المعرفة والتاريخ" وهو تصحيف، والصواب عبد الله بن نافع بن ذؤيب، والتصويب من المرض والكفارات لابن أبي الدنيا، وشعب الإيْمان للبيهقي.

ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام قط**.

قال عبد الله بن رافع بن دريد أو غيره من شيوخنا: أن عروة أمر بِها فغسلت وحنطت وكفنت ولفت بقطيفة، ثُمَّ أرسل بِها إلى المقابر.

وقد ذكر الذهبي هذه القصة فِي ترجمة عروة بن الزبير من سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٠) باختصار وبزيادة قصة موت ولده†:

** **أثر صحيح بِمجموع طرقه:** وأخرجه بِهذا السياق ابن أبي الدنيا فِي المرض والكفارات (١٤٠) والبيهقي فِي شعب الإيْمان (٩٩٧٩) من طريق عبد الله بن نافع به، ولَم أقف على ترجمة عبد الله بن نافع، ولا ترجمة أبيه، لكن للأثر طرق أخرى كثيرة يصح بمجموعها، أخرج غالبها ابن أبي الدنيا فِي المرض والكفارات بألفاظ مختصرة ومطولة.

منها: قال ابن أبي الدنيا برقم (١٣٥) حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري: أن عروة بن الزبير لما وقعت الأكلة فِي رجله، فقيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك، فقال: امض لشأنك، ما ظننت أن خلقًا شرب شرابًا يزول فيه عقله، حَتَّى لا يعرف ربه، قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى، ونحن حوله فما سمعنا حسًّا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت، قال: وما ترك جزأه بالقرآن تلك الليلة. وهذا إسناد صحيح.

† أخرج قصة مقتل ولد عروة، بمفردها: ابن أبي الدنيا فِي المرض والكفارات (١٣٨) قال: حدثنا مُحمَّد بن يزيد الأدمي حدثنا سفيان عن هشام بن عروة

"عن هشام بن عروة أن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حَتَّى إذا كان بوادي القرى، وجد فِي رجله شيئًا، فظهرت به قرحة، ثُمَّ ترقى به الوجع، وقدم على الوليد وهو فِي محمل، فقال: يا أبا عبد الله اقطعها، قال: دونك، فدعا له الطبيب، وقال: اشرب المرقد، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حسٍّ، حسٍّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخًا قط أصبر من هذا، وأصيب عروة بابنه مُحمَّد فِي ذلك السفر، ركضته بغلة فِي اصطبل، فلم يسمع منه فِي ذلك كلمة. فلما كان بوادي القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف:٦٣]. اللهم كان لي بنون سبعة، فأخذت واحدًا وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت طرفًا، وأبقيت ثلاثة ولئن ابتليت، لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت". وكذا أخرجه أبو نعيم فِي حلية الأولياء (١٧٩/٢).

الشرح ومعاني المفردات

=

قال: جاء رجل إلى عروة ابن الزبير فعزاه، فقال: بأي شيء تعزيني أبرجلي؟ قال: لا، ولكن بابنك قطعته الدواب بأرجلها، فقال عروة: "وايمك لئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت". وهذا إسناد صحيح، وقد أخرجه البيهقي فِي الشعب (١١١٤٤) من طريق ابن أبي الدنيا به.

لقصة صبر عروة بن الزبير:

(١) **قرحة الآكلة:** هي مرض يصيب الرجل.
(٢) **مرقدًا:** شراب مخدر مثل البنج فِي عصرنا الحديث.
(٣) **بل شأنكم بِها:** أي افعلوا ما شئتم بِها، دون أن تعطوني هذا الشراب المخدر.
(٤) **فرغوا:** أي انتهوا من قطعها.
(٥) **حسموها:** أي قطعوا الدم بالكي. "النهاية فِي غريب الحديث ٣٨٦/١".
(٦) **ترقى:** أي زاد عليه الوجع، وارتفع ألمه.
(٧) **محمل:** أي شيء محمول عليه.
(٨) **حسٍّ:** هي كلمة تقال من التوجع والشعور بالألَم.
(٩) **ركضته:** أي ضربته برجلها، وحوافرها.

الدروس والفوائد من قصة صبر عروة:

الفائدة الأولى: عروة بن الزبير من كبار التابعين من آل الزبير بن العوام المبشر بالجنة حواري رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وخالة عروة هي عائشة -رضي الله عنها- وقد ضرب لنا فِي هذه القصة مثالاً رائعًا للرجل الصابر على أقدار الله المحتسب لما أصابه؛ وهكذا أمر المؤمن كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له.

الفائدة الثانية: أن التداوي وطلب أسباب الشفاء جائز ولا ينافي التوكل ولا ينقص الصبر على المصيبة، وهاهو عروة التابعي الجليل يتطبب عند الأطباء، وهذا يدل على أن الخلف -الذين خُلفوا بعد السلف من أدعياء التوكل الذين يمرضون بشتى الأمراض، فلا يتداوَوْن وقد يصاب أحدهم بداء الجرب بسبب عدم التنظف بالماء- ليسوا من أتباع السلف الصالح بل هم أشبه بحال رهبان النصارى الذين ابتدعوا رهبانية من عند أنفسهم ما أنزل الله بِها من سلطان.

فلا تغتر بمظاهر التنسك والتزهد الكاذب والتورع المتصنع الذي يظهرونه، وقد امتلأت مقامات الشرك والوثنية من الأضرحة والقبور المزعومة للأولياء بأصناف من هؤلاء المخرفين.

فاعلم -رعاك الله- أن هؤلاء ليسوا من السلف الصالح فِي شيء، وهم من أبعد الناس عن سنة النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- ومن التلبيس على عامة المسلمين أن يتم إظهارهم فِي شتى وسائل الإعلام أنَّهم بركة بل ويقال: أنَّهم من أولياء الله، فترى هذا المؤلف الماجن اختلق قصة من صنع شيطانه ليصنع منها هذا الزور المحرم المسمى بالتمثيل، ويدور محور هذه القصة المختلقة على شخص أصيب فِي حادث سيارة ففقد ذاكرته، ثُمَّ ساح فِي الأرض حَتَّى انتهى به المطاف إلى هذا المقام الوثني المسمى بالبدوي وأخذ ينوح وينبح فِي حلقات الرقص الصوفية الَّتِي تسمى بحلقات الذكر، وهي فعلاً ذكر لكن للشيطان، وليس ذكرًا لله، ثُمَّ يأتي أحد أهله للسؤال عنه، وهو يرقص مع الراقصين، فيشير إليه أحد الجالسين بقوله: هذا الشيخ البركة، وهكذا يُعمى على الناس الحق، ويظن من لا عقل له أن هذا الجهل وهذه الشعوذة، وهذه الوثنية هي الإسلام، فاحذر

من هذا الهراء وتنبه!!.

وقد ثبتت مشروعية التداوي بالكتاب والسنة، بل وقال بعض أهل العلم بوجوبه، وهو قول قوي للأمر الوارد به فِي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد فِي مسنده من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك، قال: «كنت عند النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: **نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لَم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد**. قالوا: ما هو؟ قال: **الهرم**»*.

---

* **حديث صحيح**: انظر تخريجه -غير مأمور- فِي تخريجي على الطب النبوي "المقتطع من زاد المعاد" لابن القيم -رحمه الله-.

قصة قدوم عمر إلى الشام

قال ابن أبي شيبة فِي مصنفه (١٤٦/٨) حدثنا أبو خالد الأحمر عن يَحيى بن سعيد عن القاسم عن أسلم مولى عمر* قال:

"لما قدمنا مع عمر الشام أناخ بعيره وذهب لحاجته فألقيت فروتي بين شعبتي الرحل، فلما جاء ركب على الفرو، فلقينا أهل الشام يتلقون عمر فجعلوا ينظرون فجعلت أشير لهم إليه، قال: يقول عمر: تطمح[1] أعينهم إلى مراكب من لا خلاق له، يريد: مراكب العجم".

---

* **هذا إسناد صحيح،** أبو خالد الأحمر هو سليمان بن حيان الأزدي: صدوق، ويحيى بن سعيد هو الأنصاري، والقاسم هو ابن أبي بكر الصديق: متفق على توثيقه، وأسلم مولى عمر هو العدوي، قال عنه أبو زرعة ثقة، وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة وهو من جلة موالي عمر وكان يقدمه، كما فِي ترجمته فِي تَهذيب التهذيب (١٧٠/١). وأخرجه أبو داود فِي الزهد (٨٢) من طريق حماد بن زيد عن يَحيى بن سعيد به، وأخرجه ابن المبارك فِي الزهد (٥٨٥) قال: أخبرنا يحيى بن سعيد به، وفيه زيادات فِي متنه لَم يذكرها ابن أبي شيبة وهي: "...وركب أسلم بعير عمر... فجعلوا يتحدثون بينهم أي أهل الشام.." فهذا أثر صحيح.

وقال أبو داود فِي الزهد (٧٧) نا عثمان بن صالح بن سعيد الخياط ومحمد بن جابر بن الأشعث، قالا نا بشر بن عمر قال: عثمان، قال: نا، وقال ابن جابر: سمعت مالكًا عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

خرجت مع عمر بن الخطاب إلى الشام، فلما كان بأدنى الريف، ودنونا منها، نزل عمر فذهب لحاجته فجاء وقد أقبلت فروتي وألقيتها بين شعبتي الرحل فركب[٢] بعيري، وركبت بعيره فاطلع أناس فقالوا: أمير المؤمنين؟.

قلت: هذا، فجعلوا يتراطنون[٣] فيما بينهم.

فقال: "إن هؤلاء لا يرون علينا بزة قوم غضب الله عليهم فيها فأعينهم تزدرينا".

ثُمَّ سار حَتَّى لقيه عمرو بن العاص وأمراء الأجناد.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنك تقدم على قوم حديث[٤] عهد بكفر.

قال: فمه؟! **قال:** تؤتي بدابة فتركبها.

قال: ما شئتم، فأتي ببرذون فركبه فجعل البرذون يحركه ويجعل عمر يضربه ويضرب وجهه ولا يزيده إلا مشيًا، فقال سائس الدابة: ما ينقم أمير المؤمنين منه؟ ثُمَّ نزل. فقال: "ما حملتموني إلا على شيطان، وما نزلتُ عنه حَتَّى

أنكرتُ نفسي، قرِّبوا بعيري" فركبه ثُمَّ اعتزل الناس.

ثُمَّ سار حَتَّى لقيه أبو عبيدة بن الجراح على بعير قد اختطمه بحبل أسود، فلما رآه عمر تبسم ثُمَّ قال: "أخي، لعمري لَم تغيرك الدنيا بعدي" ودخلا. اهـ.

وأخرجه عمر بن شبة فِي تاريخ المدينة (١٤٠١) قال: ثنا بشر بن عمر قال: ثنا مالك به. وهذا إسناد صحيح.

وقال عمر بن شبة فِي تاريخ المدينة (١٤٠٣) ثنا موسى بن إسماعيل ثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال:

ركب عمر برذونًا فهزه فنَزل عنه، وقال: "ما يصلح هذا إلا لصاحب يأتي عليه الغائط"، وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضًا فِي تاريخ المدينة (١٤٠٩): ثنا أحمد بن جناب ثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس هو ابن أبي حازم قال: لما أتى عمر الشام أُتي ببرذون فقيل: اركبه يا أمير المؤمنين، ليراك عظماء الأرض(٥)، قال: "وإنكم لهناك، إنَّما الأمر هاهنا -وأشار إلى السماء- خلوا سبيل جملي". وهذا إسناد صحيح.

الشرح ومعاني المفردات:

(١) **تطمح:** أي تجمح وترتفع وتعلو.
(٢) **قال محقق الزهد:** كلمة غير واضحة بالأصل.
(٣) هو التحدث بكلام العجم.
(٤) وقع فِي تاريخ المدينة "حديثي" وهو الصواب.
(٥) **عظماء الأرض:** يقصد علية القوم من قاطني الأرض الَّتِي نزل فيها عمر.

الفوائد والدروس من قصة قدوم عمر ـ إلى الشام:

الفائدة الأولى: ثبات المرء على نفس سجاياه الكريْمة من التواضع وعدم التعالي على الناس إذا فُتحت عليه الدنيا، تأسيًا بالفاروق الذي لَم يزده توليه الخلافة إلا تواضعًا لله وهضمًا لحظ النفس، واعتزازًا بدينه.

الفائدة الثانية: اعتزاز المؤمن بِهيئته ولباسه الذي يميزه عن الكافرين، وإن كان متواضعًا، وعدم اغتراره بالهيئة المزيفة الَّتِي يتفاخر بِها العجم، ومن لا خلاق لهم مِمَّن يتشبهون بِهم، وهذه الصفة الطيبة تكاد أن تتلاشى بين أهل المدن والحضر من المسلمين، الذين ذابوا ذوبانًا فِي التقاليد الغربية فِي اللباس والهيئة، بل ويحقرون مِمَّن يفعل فعل عمر، فيظل معتزًّا بلباسه وهيئته، ولا يجاريهم على ما هم عليه من انخراط متردي فِي تقليد من لا خلاق له من نصارى ويهود، وسبحان الله أنك تجد أهل الأرياف، والصعيد، وكذا البدو فِي شتى البقاع الإسلامية، مازالوا يحتفظون بِهذه الأنفة والعزة بِهيئتهم الَّتِي تخالف هيئة

الكفار، فتجد كثيرًا منهم وإن انتقل للمدينة لا يخلع قميصه ولا عمامته، أو قلنسوته، ويعتبر هذا أمرًا معيبًا يقلل من شأنه أن يرتدي هذه الملابس الأجنبية من بنطال ورباط عنق، فهلا تشبهنا بإخواننا المسلمين من العرب والبدو والفلاحين، ونبذنا هذه المظاهر الكاذبة المأخوذة من الغرب الكافر، والتي زرعت فِي قلوبنا حبًّا وولاءً لهؤلاء، حيث إن اللباس والهيئة لا شك تؤثر فِي قلب المرء، ومن تشبه بقوم فهو منهم.

قصة الخضر مع موسى -

قال البخاري فِي صحيحه (٣٤٠١): حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال: "قلت لابن عباس إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، إنَّما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- أن موسى قام خطيبًا فِي بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لَم يرد العلم إليه فقال له: بلى، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: أي رب ومن لي به؟ -وربَّما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟- قال: تأخذ حوتًا فتجعله فِي مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ -وربَّما قال: فهو ثَمه- وأخذ حوتًا فجعله فِي مكتل ثُمَّ انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حَتَّى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما، فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج فسقط فِي البحر، فاتخذ سبيله فِي البحر سربا، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق -فقال: هكذا مثل الطاق- فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما

ويومهما، حَتَّى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، ولَم يجد موسى النصب حَتَّى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله فِي البحر عجبًا، فكان للحوت سربًا ولهما عجبًا، قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصًا - رجعا يقصان آثارهما- حَتَّى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مُسَجَّى بثوب، فسلم موسى، فرد عليه فقال: وأنَّى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مِمَّا علمت رشدًا، قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا، وكيف تصبر على ما لَم تحط به خبرًا -إلى قوله: إمرًا- فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بِهما سفينة كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا فِي السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر فِي البحر نقرة أو نقرتين.

قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر، إذ

أخذ الفأس فنَزع لوحًا، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئًا إمرًا، قال: ألَم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا؟ قال: لا تؤاخذني بِما نسيت، ولا ترهقني من أمري عسرًا، فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا - وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئًا- فقال له موسى: أقتلت نفسًا زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئًا نكرًا، قال: ألَم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا؟ قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذرًا، فانطلقا حَتَّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض مائلاً -أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر "مائلاً" إلا مرة- قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولَم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم، لو شئت لاتخذت عليه أجرًا، قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لَم تستطع عليه صبرًا، قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم: **وددنا أن موسى**

كان صبر فقص الله علينا من خبرهما قال سفيان: قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم: **يرحم الله موسى لو كان صبر يقص علينا من أمرهما**)).

وقرأ ابن عباس: "أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا" وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين. ثُمَّ قال لي سفيان: سمعته منه مرتين وحفظته منه، قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان؟ فقال: مِمَّن أتحفظه، ورواه أحد عن عمرو غيري؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثًا وحفظته منه".

الشرح والدروس والفوائد من قصة موسى مع الخضر:

فِي أعداد العام الرابع والعشرين لمجلة التوحيد (١٤١٦هـ) قام الشيخ مُحمَّد رزق ساطور فِي عدة مقالات متتالية سرد فوائد جليلة من هذه القصة، وقد أوعب -حفظه الله- ما يُمكن أن يُستفاد منها من دروس، بطريقة تجعل لمن يتصدى بعده لهذا الأمر لا يجد مقالاً أكثر مِمَّا قال، ولذا قمت بانتقاء ثلة من هذه الفوائد، مع التنبيه أن الشيخ مُحمَّد كان يشير فِي فوائده إلى الآيات، لا إلى نص الحديث، وهذا لا يضر حيث إن الحديث هو ترجمان لهذه الآيات، بالإضافة إلى أن غالب فقرات الحديث جاءت مطابقة لألفاظ الآيات وإليك نص هذه الفوائد المختارة:

الأولى: فِي سبب هذه الرحلة المباركة روى البخاري عن أبي بن كعب عن النَّبِي صلى الله عليه وسلم: ((**قام موسى النَّبِي خطيبًا فِي بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لَم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن عبدًا من عبادي، بِمجمع البحرين هو أعلم منك قال: يا رب وكيف لِي به...**)). الحديث.

أي أن موسى _ حينما علم أن هناك من هو أعلم منه طلب أن يلتقي به وتوجه إليه فِي رحلة لَم يعرف لَها التاريخ مثيلاً إلا فِي عالم الأنبياء والأتقياء، رحلة فِي طلب العلم.

فالناس يرحلون للتنَزه والترفه ولطلب المال والدنيا، والمنصب والزواج وقل من يرحل لطلب العلم، بل إن كثيرًا من الناس يذهبون إلى أوروبا وأمريكا وفرنسا طلبًا للمتع الزائلة وينفقون الأموال الطائلة لذلك، وإذا طلب منهم أن يرحلوا للعلم وجدتُهم يخترعون المعاذير ويختلقون الأسباب للابتعاد عن العلم، لكن أهل الإيْمان يرحلون طلبًا لطاعة ربِّهم وأملاً فِي أن ينالوا الفضل الذي أعده الله تعالى لأهل العلم.

الثانية: يتعجب الإنسان حينما يرى موسى _ مع عظيم قدره وجلالة منْزلته يطلب العلم، ونحن مع ما نحن عليه من جهل وتقصير وتفريط..... نقصر فِي طلب العلم.

وربَّما يتساءل أحد لماذا يطلب موسى _ العلم؟ هل فاته شيء من العلم فِي مرحلة الصغر أو مرحلة الشباب فأراد أن يتداركه؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: تعالوا نتعرف على نشأته لنرى هل فاته تحصيل العلم فِي تلك الفترة، أو فِي مرحلة

الشباب، فنجد أن موسى _ ولد فِي وقت أشيعت فيه نبوءة عند فرعون تقول هذه النبوءة: بأن ملك فرعون سيزول على يد غلام يولد فِي تلك الأيام، وفرعون غبي يصدق كل ما يقال له وإن كان لا يُصدق، فإذا به يأمر بذبح أبناء بني إسرائيل الذكور خوفًا على ملكه فلقد جاء موسى _ إلى الدنيا وهو مهدد بالقتل، فأوحى الله تعالى إلى أمه كما قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧].

وفي الآية عدة فوائد:

منها: هل تحتاج المرأة إلى وحي لترضع ابنها؟ إن كل النساء يرضعن أبناءهن دون ذلك الوحي، فلماذا كانت هذه الرضعة بالذات بوحي؟.

نقول: لأن هذه الرضعة سيكون لَها شأن عظيم، فهي رضعة لن يرضع بعدها إلا بعد أن تنتهي رحلته فِي اليم وبين أيدي من يجدوه، وعند فرعون، وبين أيدي النسوة اللاتي يجتمعن لإرضاعه، ثُمَّ يرد لأمه ليرضع بعد كل ذلك، فلما كانت الفترة ربَّما تطول جدًّا كانت هذه الرضعة بالوحي؛ لأن من فعل شيئًا تنفيذًا للوحي بارك الله له فيه حَتَّى وإن كان مباحًا.

فأرضعت أم موسى ابنها ثُمَّ صنعت الصندوق لتضعه فيه مع أنَّها لَم تكن بالماهرة فِي صنعه، وخائفة من أن يظهر أمره، ولا تستطيع أن تذهب لمن يصنعه لَها خوفًا من أن يدل عليه، وصنع موسى _ فِي صندوق أسباب الهلاك فيه أكثر من أسباب النجاة ومع ذلك فالله يرحم ضعف الضعيف إن أخذ بالأسباب وبذل ما فِي وسعه، ثُمَّ انتظرت حَتَّى يخلو الساحل من الناس ثُمَّ رمته فِي الصندوق وأخذت الأمواج تتناقله بإذن الذي خلقها حَتَّى وصل إلى قصر فرعون، وفرعون كان يتباهى فيقول كما قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف:٥١] فكان يفخر بذلك، ومع أن قوانين فرعون تمنع الناس من البناء على النيل، ترى فرعون يبني قصره فوق النهر، لتعلم أن المخالفة للناس، أما فرعون فلا يستطيع أحد أن يطالب بِهدم المباني المخالفة للقوانين لأنه هو الذي يشرع للناس من دون الله تعالى.

وصل أمر موسى _ لفرعون فقرر قتله، ولكن الله جلت قدرته ألقى محبته فِي قلب امرأة فرعون فراجعته فِي ذلك، وفرعون أمام امرأته لا يساوي امرأة فلا يستطيع أن يعترض على أمرها أو حَتَّى يؤخره عن التنفيذ، قال الله

تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص:٩]. عند ذلك قرر فرعون أن يربيه، وطالما أنه قرر ذلك فلابد أن يوفر له أسباب الحياة، فالرضيع فِي حاجة إلى الرضاع خوفًا عليه من الهلاك، عند ذلك يرسل فرعون فِي المدينة مناديًا على المرضعات ليحضرن لإرضاع الولد والمرأة عندما تريد أن تذهب إلى بيوت العائلات تحب أن تظهر بمظهر يليق بِها، فماذا لو كان المكان هو قصر فرعون، تقف المرأة أمام المرآة تُهيئ نفسها، ويساعدها فِي ذلك أماني وأوهام، فالمرأة لو فازت بوظيفة المرضعة سوف يتحول مسار حياتِها بل ومسار الأسرة، فالفاشل من أسرتِها لن يتعب فِي وجود وظيفة موقرة فِي قصر فرعون، بل ربما ارتقى به الحال ليكون وزيرًا من وزرائه.

من أجل ذلك فالمرأة حريصة على أن ترضع ابن فرعون لا حبًّا فيه ولا فِي أبيه، بل أملاً فِي نيل الجائزة والتقرب إليه، ثُمَّ تذهب المرضعات، والدخول إلى قصر فرعون ليس سهلاً، فلابد من التفتيش والاحتياط والتدقيق على توافه الأمور حرصًا على أمن فرعون وابنه، وبعد كل ذلك تدخل المرضعات، تدخل إحداهن وفي رأسها الأحلام

والأماني، فلا يقبل الرضيع أن يرضع، فتحاول مرات ومرات وليس بالسهل عليها أن تعترف بالفشل، بل تحاول وتصر، وتطلب منهم المهلة مرات ثُمَّ لك أن تتصور حَتَّى تترك المرأة الرضيع معلنة فشلها فِي إمكان إرضاعه، هذه المحاولات تتكرر حَتَّى تنتهي كل المرضعات، وقد قال سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص:١٠-١٢].

الكل يأس من إرضاعه، وأصبح الجميع مطالبين بإيجاد حل، فقالت لهم أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، فهم لا يذهبون إلى القصور، ولا يطلبون الأجور بل هم متطوعون، وهم له بالذات ناصحون فرده الله إلى أمه رحمة منه وفضلاً كي تقر عينها ويطمئن قلبها وتتيقن من وعد الله سبحانه.

إذا كانت هذه هي بداية موسى _ فهل تظن أن العلم قد فاته فِي الصغر، كلا، فما بالنا بمرحلة الشباب، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:١٤].

إذا علمنا ذلك تيقنا أن موسى _ طلب العلم لمعرفته بشرفه وشرف حامليه وطلبًا للزيادة منه، لأن الزيادة من العلم خير كثير وفضل عظيم.

الثالثة: جواز الرحلة فِي طلب العلم وتحمل المشاق ووعثاء السفر والصعاب والمعاناة لبلوغ القصد فِي تحصيل العلم كلف ذلك الإنسان البحث طيلة حياته قال سبحانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ [الكهف:٦٠].

الرابعة: لا يتحمل الإنسان المشاق إلا لشيء يستحق التحمل من أجله، وهذا يدل على رفعة العلم وأنه غال، فمثلاً الإنسان يصبر لأنه يعلم أن عقبى الصبر الثواب الجزيل كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر:١٠]. ولذلك فإن فضل العلم وشرفه دفع موسى _ إليه وجعله يتحمل المشاق طلبًا لمزيد من العلم، ولذلك ينبغي أن نصبر ونتحمل حَتَّى نتعلم فننال ذلك الشرف فِي الدنيا والآخرة.

الخامسة: استزادة العالِم من العلم، فطلبه يزيد فِي مكانته، ويرفع من درجته، ويدل على فضله وحرصه على الاستزادة من الخير، وفي هذه أيضًا تقريع لمن يتكاسل عن طلب العلم، فإذا كان موسى _ بِما نعلمه عنه من فضل وعلم

ونبوة ورسالة ودعوة يطلب، فما بالك بنا؟!.

السادسة: لا بأس باتخاذ الرفيق والخادم فِي السفر، فقد سافر موسى _ ومعه فتاه، وهذا يدل أيضًا على اختيار الصاحب فِي السفر، فأنت فِي السفر تحتاج إلى من يرفع عنك عناء السفر، ويساعدك فِي ترحالك، كما يساعدك فِي حلك، ما أحوجنا إلى اتخاذ الرفيق الأمين، الذي إن رأى شرًّا كتمه، وإن رأى خيرًا شكره، لقد تحولت الصحبة هذه الأيام إلى بلاء مبين، وشر مستطير إلا من رحم الله، فيصحب الإنسان من يظن فيه الخير، فإذا به يرى العجب، وأهل العلم على وجه الخصوص فِي أمسِّ الحاجة للتدقيق فِي من يصحبهم؛ ولذلك ترى فِي صحبة الشيخ آداب ينبغي أن يلتزمها تلميذه ومما قاله العلماء فِي ذلك: "وينبغي أن يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه من بُعد، وأن يعرف للشيخ حقه، ولا ينسى فضله، وأن يعظم حرمته، ويرد غيبته، ويغضب لَهَا، فإن عجر عن ذلك قام وفارق ذلك الْمَجلس وينبغي أن يدعو له مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه وأولاده بعد وفاته. "تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة باختصار (ص٨٩، ٩٠).

وقال أيضًا: "وينبغي على طالب العلم أن يجلس بين

شيخه بتواضع وخشوع وسكون ويصغى إلى الشيخ ناظرًا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله ولا يلتفت من غير ضرورة ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ولاسيما عند بحثه أو عند كلامه..." إلى آخر هذه الآداب.

ولذلك قيل:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنَّها تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

أهين لَهم نفس فهم يكرمونَها ولن تكرم النفس الَّتِي لا تُهينها

السابعة: فِي قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا**﴾. دلالة على اتخاذ الزاد فِي السفر وهو لا ينافي التوكل، فإن التوكل يكون خالصًا لله تعالى حينما توجد بعض المصارف التي قد تصرف عنه، والمريض الذي يذهب للطبيب قد يظن أن ذهابه للطبيب هو الذي شفاه، أو تعاطيه الدواء، فالطبيب والدواء قد يصرفان همته عن التوكل خاصة إذا كان الطبيب حاذقًا والدواء قويًّا، ولكن المؤمن الذي ذهب للطبيب وتعاطى الدواء ولَم ينشغل بِهما عن الله وعلم أن الشفاء من الله توكله على الله أكمل مِمَّن لَم يذهب للطبيب أو يتعاطى الدواء، لأن الأول وجد ما يصرفه عن

الله ولَم يبتعد عن الله والثاني لَم يجد شيئًا من المصارف، ولذا كان من اتخذ الأسباب أكمل مِمَّن تركها، فمثلاً اتخاذ الطعام والزاد فِي السفر وبِما يجعل العبد يركن ويطمئن بوجود الطعام معه فلا يتوكل على الله اعتمادًا على ما معه من طعام، ولكن إذا صدق التوكل لَم ينصرف اطمئنانه إلى الطعام، بل سوف يعلم أن الشبع من قدر الله، وأن الحافظ له وللطعام هو الله، فكيف يعتمد على وجود الطعام الذي ربما فسد أو سرق أو أتى الهلال من قبله، عند ذلك هو يأخذ بالأسباب ولا تصرفه كل الأسباب عن الله سبحانه وتعالى.

الثامنة: فِي قوله تعالى: ﴿**قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا**﴾. فالذي طلب الطعام هو موسى _ مع أنه لَم يكن بحاجة إليه بل هو أقوى وأصبر من الفتى فِي الحاجة إلى الطعام ومع ذلك طلب الطعام تلطفًا بصاحبه ورفقًا به، فلعل من بصحبته فِي حاجة إلى الطعام إن الأنبياء والمرسلين أوتوا من الصبر والقدرة على التحمل ما لا يقدر عليه إلا أمثالهم، وكان النَّبِي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الوصال فِي الصيام ويصل هو، فعن أبي هريرة ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إياكم والوصال**، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: **إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**)).

وعلى ذلك ينبغي على الصاحب أن لا يضيع من بصحبته بل عليه أن يتحسس أمره ويعتني به.

التاسعة: جواز الشكوى من الألَم والتعب والتوجع، وأن هذا ليس من باب الضجر من قدر الله، فلقد اشتكى موسى ـ لفتاه وقال له: ﴿لَقَد لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبَا﴾. فهذه شكوى لا بأس بِها، لأن الشكوى لمن تستريح له النفس تروح عنها وتخفف من عنائها وربما تكون سببًا فِي تخفيفها.

العاشرة: فِي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

وهذا يدل على: استئذان الشيخ فِي صحبته، وعدم اقتحام مجلسه دون استئذان أو مراعاة لوقته، فإن أوقات العلماء غالية لا ينبغي أن يضيعها الناس فِي القيل والقال، فإن بعض الناس يقتحمون على أهل العلم مجالسهم دون أن يكون لهم مصلحة أو غاية اللهم إلا المجالسة والحديث فيما لا يفيد، وهذا يضيع أوقات العلماء، وقد يمتنعون عن الناس لأجل بعضهم، ولكن موسى ـ يعلم حق العلماء فيستأذنه قبل أن يصحبه، وما أحوج طلبة العلم هذه الأيام إلى التأدب مع العلماء باستئذانِهم، ومراعاة أوقاتِهم، وإذا أراد السؤال منه فليسأل وينصرف حَتَّى يترك المجال لغيره أو للشيخ لمراجعة مسائله أو مدارستها.

وأذكر أنني أردت مرة أن أستجمع أحد الموضوعات لخطبة الجمعة قبلها بأسبوع فحينما وصلت من العمل وجدت من ينتظرنِي ليسألنِي فِي مسألة وما إن انصرف حَتَّى جاء غيره فنَزلنا لصلاة الظهر فجاء غيره حَتَّى العصر فجاء غيره حَتَّى المغرب فجاء غيره فنَزلنا للعشاء فجاء غيرهم حَتَّى ساعة متأخرة، ثُمَّ حدث ذلك فِي اليوم التالي والذي بعده، حَتَّى يوم الخميس، فجئت فوجدت من ينتظرني فاعتذرت وانصرف وأغلقت بابي فلم أأذن بعدها لأحد فِي ذلك اليوم ولذلك ينبغي لطلبة العلم أن يرحم بعضهم بعضًا، وأن يرحموا العلماء فيستأذنوهم حَتَّى لا يحرموهم من أغلى بضاعة يستثمرونَها وهي الوقت.

الحادي عشر: فِي قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمْنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾. فهو لا يريد أي علم ولكن يريد العلم النافع الذي لا غنى للإنسان عنه، فهناك من العلوم ما لا فائدة من تحصيلها ولا يُبنى عليها عمل ولا تصحح اعتقادًا، وفيها أيضًا: تواضع المتعلم لمن يتعلم منه ولو كان دونه فِي المرتبة، ولهذا طلب _ التعلم من الخضر _ تعليمًا لقومه وتنبيهًا لكل من زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع، وفي هذا عبرة لمن يتعالم على الناس ليعلم أن التواضع فِي طلب

العلم يزيد فِي الفضل، ويرفع منْزلة العبد.

الثاني عشر: فِي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ . فحينما رأى مخالفة لما ينبغي أنكر عليه أن يخرق السفينة مع أن أهلها حملوها معهم دون نول* أجر، فهل هذا يليق، قوم أحسنوا إلينا فنسيئ إليهم بخرق السفينة، وفيها أيضًا دلالة على أن أنبياء الله ورسله وأهل الإيْمان يحرصون على الناس أكثر من حرصهم على أنفسهم، ولذا لما رأى موسى ـ العبد الصالح يخرق السفينة لَم يقل له: أخرقتها لنغرق أو لتغرقنا وإنَّما قال له: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾. وفي قراءة: ﴿لِيَغْرَقَ أَهْلَهَا﴾. فخشي عليهم من الغرق بالرغم أنه معهم فِي السفينة.

الثالث عشر: فِي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. حينما خالف موسى ـ الشرط الذي اشترطه ووافق عليه، لَم يزد العبد الصالح على أن ذكره بِما قاله له، وهذا دليل على أن أهل العلم ينصحون ويخلصون فِي النصيحة ويحذرون من الشر قبل أن يقع فيه العبد ليحذره ولذلك ينبغي على طالب العلم أن يتلقى نصيحة شيخه باهتمام واعتناء بالغ حَتَّى ينفعه الله تعالى بتلك النصيحة.

---

* هكذا فِي الأصل، ولعل الصواب "نوال".

الرابع عشر: فِي قوله تعالى: ﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾. فيها أن موسى _ حين قبل اعتذار فتاه حين قال له: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾. قيض الله تعالى له من يقبل اعتذاره حين نسي، ولذلك من يعف يعف عنه، ومن يصفح يصفح عنه، ومن يقبل اعتذار الناس يقبلون منه، ومن يقدم المعروف فإن الله تعالى يدخره له وينفعه به فِي الدنيا والآخرة، ولذلك لما اعتذر موسى _ بالنسيان قبل منه العبد الصالح ولَم يعدها عليه.

الخامس عشر: فِي قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾. فمع علم موسى _ بالشرط الذي أخذ عليه وتذكره من بعد نسيانه إلا أنه لا يجوز أن يسكت عن منكر لأن ما معه من علم ينكر القتل ويحرمه، فكانت هذه من موسى _ عمدًا لحرمة سكوته وفيها جواز الإنكار على الشيخ رحمة به، فأنكر أولاً القتل ثُمَّ أنه قتل نفسًا ليست نفسًا خبيثة، تستحق القتل بل نفسًا زكية طاهرة، ولَم ترتكب جرمًا بقتل نفس، فلماذا تقتل؟!.

السادس عشر: فِي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. فيها جواز أخذ الأجر على الأعمال ومشروعية

الإجارة.

السابع عشر: فِي قوله تعالى: ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾. أي طلبا الضيافة حينما تنكر أهل القرية لهما وأبوا أن يضيفوهما، فلا بأس بطلب الغريب الطعام والضيافة.

الثامن عشر: صنع المعروف لا يترك ولو مع اللئام لأن موسى _ حينما سار مع الخضر ولقيا أهل قرية أبوا أن يضيفوهما، ومع ذلك لما وجدا جدارًا فِي القرية يريد أن ينقض وأوشك على الهدم أقامه العبد الصالح ولَم يتركه عقابًا لهم على فعلهم معهما، وفي حقيقة الأمر أن بناء الجدار كان أنسب لحالهم، فلو أن الجدار تَهدم لظهر ما تحته من كنْز - ذهبًا أو فضة أو لوحًا من الذهب فيه حكمة أو كنْز علم- لاستفاد به أهل هذه القرية ولكن لما حجبوا حق الضيافة وتنكروا له أرسل الله تعالى من بنى الجدار وحرمهم من الانتفاع بالكنْز، فكان إقامة الجدار من ناحية عقابًا لهم على بخلهم وسوء صنيعهم، ولنعلم أن من يبخل فإنَّما يبخل عن نفسه حقيقة، وإذا كان أهل هذه القرية حرموا الخير لما منعوا حق الضيافة فكيف يكون حال القرية الَّتِي تتنكر لشرع الله ولا تقيم حدود الله ولا تعدل بين خلق الله بل تحارب أهل الإيْمان وتتعقبهم وتشنع عليهم وتشوه صورتَهم وتدعي

زورًا عليهم أنَّهم قتلوا أو اعتدوا، ما بالك بقرية تتنكر للفضيلة للنقاب والحجاب الشرعي وتؤيد الرذيلة فِي صورة الفجور والسفور والعري والتهتك ما بالك بقرية ترفع فيها أعلام الشرك فِي الموالد بالاستغاثات بغير الله وطلب المدد وتقديْم النذور والقربات وذبح القرابين والطواف بغير بيت الله، ظنًّا بأن هذا الشرك هو قمة التوحيد ألا ساء ما يزرون، ما بالك بقرية تريد أن تستحل الحرام وتقيد من الزواج كفتح باب لتأييد الرذيلة والفاحشة، ما بالك بقرية تخون الأمين وتأتمن الخائن، لا شك أن تلك القرية أولى بالحرمان وابتعاد الخير ومحق البركة بل مهددة بالدمار والهلاك، وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٣]. وقال جل ذكره: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٨-٥٩]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ

آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق:٨-١٠].

التاسع عشر: فِي قوله تعالى: ﴿مَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحرِ﴾. فهم مع مسكنتهم وحاجتهم يعملون فيبذلون الجهد ويفرغون الوسع ويعملون جاهدين على رفع المسكنة عنهم، لأن بعض الناس يستريحون اتكالاً على حاجتهم فيتسولون ويمتهنون التسول مهنة وعملاً، ولذلك قال النَّبِي صلى الله عليه وسلم: «**ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنَّما المسكين المتعفف اقرءوا إن شئتم لا يسألون الناس إلحافًا**». رواه البخاري ومسلم.

وعند مسلم: «قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: **الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ويسأل الناس شيئًا**».

وقال S: «**لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق به، ويستغني به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بِمن تعول**». رواه مسلم.

العشرون: فِي قول العبد الصالح: ﴿فَأَرَدْتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩]. فقد نسب العيب لنفسه، ولَم ينسبه لله تعالى، تعظيمًا وتنْزيهًا وتأدبًا مع الله تعالى، فالعيب يليق بنا، ولا يليق برب الناس، على الرغم من أن العبد الصالح لَم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وإنَّما كان بأمر الله تعالى، ومع ذلك

نسب الفعل لنفسه تأدبًا مع الله تعالى، وتنْزيهًا له عن العيب والنقص، وكذلك فِي قتل الغلام قال: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨٠-٨١].

الحادي والعشرون: فِي قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩]. تأمل فِي بيان وإجابة العبد الصالح توضيحًا لموسى _، إن هذا التوضيح كان أدعى أن يُعترض عليه، يعنِي: لو كانت السفينة لأغنياء لهان الأمر، ولكن لمساكين يعملون ولايزالون محتاجين، ومع ذلك لَم يعترض موسى _ أو ينكر أو يقل له: أتخرق سفينة لمساكين أهذه هي مساعدتك لهم، أو معاونتك إياهم، لكن موسى _ قد علم الدرس ووعاه، فمع أن تفسير الأمر كان يستدعي من موسى _ أن يستنكر أكثر لحاجة المساكين؛ لكنه صبر فاتضح له وجه الحكمة فِي ذلك: أن العبد الصالح فعل ذلك لتبقى لهم سفينتهم، ويكون ذلك سببًا فِي حفظ سفينتهم بإذن الله.

الثاني والعشرون: فِي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩]. فيها تحريم الغصب، والتشنيع على فاعله، وفيها أن الملوك إذا كانوا على غير دين الله،

أذاقوا أممهم العذاب، وعاثوا فِي الأرض فسادًا، وظلموا وخربوا وسلبوا أموال الناس، واعتدوا على أملاكهم: تارة بالتأميم، وتارة بفرض أتاوات وضرائب باهظة تستغرق الأموال، وتارة بالجمارك، وتارة بالهوى والاعتداء والأحقاد الشخصية، فيغتصبون الحقوق ويضيعون أهلها، وواجب الأنبياء والمرسلين وأتباعهم أن يرفعوا عن الناس الظلم، وأن يدافعوا عن المظلومين، ولذلك إذا تأملت أحوال المسلمين فِي البوسنة مثلاً وجدت أن أعداء الله من الصليبيين قد اغتصبوا أموالهم وأعراضهم وبيوتَهم ومساكنهم وخربوا ديارهم وقتلوا أبناءهم وغدروا بِهم، فهذا حال أهل الباطل؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤]. وماذا فعل المسلمون؟ لايزالون يستنكرون ويدينون ويشجبون ويحذرون، أمات الاستعمار والغزو الفكري فِي النفوس النخوة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فاللهم ردنا إلى دينك ردًّا جميلاً، ولا تؤاخذنا بذنوبنا أخذًا وبيلاً.

الثالث والعشرون: جواز إتلاف بعض مال الغير، أو تعييبه لوقاية وصيانة باقيه، كمال المودع أو اليتيم، فإن انتظار استئذان صاحب المال أو ربما غياب فهمه وإدراكه

للمصلحة يضيع الفرصة فِي إنقاذ ماله أو إبعاد الظلم عنه، ومن هنا وجب على المسلم أن يكون ناصحًا لأخيه، حريصًا عليه، يسدي له حقه عليه، وإن كان بغير إذنه؛ نظرًا للمصلحة الراجحة الَّتِي تعود عليه بالخير والمنفعة.

الرابع والعشرون: إذا تعارضت مفسدتان ارتكب أخف الضررين، فلما تعارضت مفسدة الغصب مع مفسدة خرق السفينة ارتكب أخف الضررين وهو خرق السفينة؛ وهذه قاعدة أصولية.

الخامس والعشرون: فِي قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ**﴾ [الكهف:٨٠]. مع أن الإشكال هنا يستحق الاعتراض والسؤال، وعدم الصبر على تكملة الرد بأن يقول له: وهل إذا كان أبواه مؤمنين كان جزاء ابنهما القتل، ومع ذلك فقد تعلم موسى _ الصبر، فانتظر، فإذا بالسبب يزيل الالتباس ويوضح الإشكال، فمع أنه قتل إلا أنه رحمة بالوالدين وحرصًا على إيْمانِهما، وهنا يظهر أن المصيبة ربما يكون فيها وجه رحمة وخير لمن أصابته، وهذا أدعى أن يصبر ويحتسب، ويعلم أنه ربما ادخر الله فيها له خيرًا كثيرًا.

الخامس والعشرون: أن صلاح الآباء ينفع الأبناء ما لَم يبلغوا الحلم، فإن أحسنوا امتد الانتفاع وازداد، وإن أساءوا

قطعوا بينهم وبين هذا النفع، فكم من يتيم فِي المدينة، ومع كثرتِهم أرسل الله تعالى من بنى ليتيمين بالمدينة جدارًا لهما كاد أن ينهار؛ وذلك لأن أباهما كان صالحًا، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء:٩].

السادس والعشرون: عمارة ما يخاف من أن ينهار أو يهدم، وعدم إهماله إلى أن يخرب، فحينما رأى العبد الصالح الجدار قد أوشك على الهدم أو قاربه أقامه، فلا ينبغي إهمال الأشياء وتركها حَتَّى تخرب، وذلك يدل على أن أهل الإيْمان إنَّما هم خير لأهل الأرض، وعمار للأرض، ويرجون الخير ويحافظون على أهل الإيْمان وعلى ذريتهم.

السابع والعشرون: فِي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢].

وفي هذه الآية دلالة على جواز دفن المال فِي الأرض سواء أخاف الإنسان من النهب أو السلب أو السرقة أو الغصب، وإذا لَم يستطع العبد أن يثمر ماله بالحلال الطيب ويبتعد عن الربا والحرام؛ فباطن الأرض خير للمال من ظاهرها؛ وذلك أولى من المعاملات الربوية الَّتِي يفتي بِهَا من غرتْهم المناصب الزائلة، والمجاملات الفاسدة على

حساب دين الله تعالى، فيزعمون أن الربا المحرم الخبيث سيكون بفتوى مفتٍ، أو تأويل فاسد، سيكون حلالاً، كلا، فالله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

الثامن والعشرون: لا ينبغي أن يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لَم يستحسنه، فلعل فيه سرًّا لا يعرفه، فإن صبر عليه علم تأويله أو فهمه على مراده، فلا ينبغي أن ينكر شيئًا، بل عليه أن يتأنى حَتَّى يعلم حقيقة الأمر، فلقد أنكر موسى _ على العبد الصالح أن خرق السفينة، وتعجب أن تحمل السفينة أهلها وبِها خرق، على الرغم من أنه _ حين وضعته أمه فِي اليم وهو رضيع فِي صندوق من الخشب صنع على عجل؛ نجاه الله تعالى فِي مكانٍ الهلاك فيه محقق، ولو أن الإنسان تأمل أكثر؛ لعلم أن من فِي السفينة قد يتعلق بأحد الألواح، أو يستطيع الغوص فينجو، ولكن الرضيع لا أمل له فِي ذلك.

فالذي نجى الرضيع من الغرق -وهو لا يمتلك الأسباب- قادر على أن ينجي أهل السفينة وهم يمتلكون الأسباب، وأنكر موسى _ على العبد الصالح قتل الغلام وتعجب كيف يقتل ولا يؤاخذ، مع أنه _ قتل ولَم يؤاخذ، قال سبحانه: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ

هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]. فكيف ينكر عليه القتل وقد قتل، ولَم يعاقبه الله على فعله، قال سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص:١٦]. وأنكر عليه أن يبني الجدار بغير أجر، مع أنه _ سقى لابنتي الرجل الصالح، ولَم يطلب على سقيه أجرًا، مع أنه كان أحوج للأجر من العبد الصالح، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَينِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٣-٢٤].

ولذلك ينبغي أن لا يعجل المرء بل عليه أن يتريث حَتَّى لا ينكر شيئًا هو يفعله.

التاسع والعشرون: الرضا والتسليم بقدر الله تعالى، فربما ينظر المرء إلى بعض الأفعال فيستاء ويحزن وإذا علم حقيقة الأمر؛ وجد أن المصائب لَها جانب حسن، خاصة عند التسليم والإذعان، رضًا بقدر الله، فخرق السفينة ظاهره غرق لأهلها، وخطر محقق، وحرمان لأهلها من الرزق الطيب، ولكن الحقيقة: نجاة السفينة من الغاصب الغادر،

وقتل الغلام ظاهره مفجع وقاسٍ لوالديه، وفقدان لعزيز، وحقيقته: الرحمة بالوالدين، والخوف على ذهاب إيْمانِهما بالله، ووقوع الجدار ظاهره الخراب، وحقيقته: العمران الحقيقي بإقامته، وصيانة الكنْز من تحته.

وإذا علم العبد أن للمصائب وجهًا حسنًا، إذا رضي فيها بقدر الله واسترجع؛ فإن الله تعالى يعوضه خيرًا مِمَّا أخذ منه، ويقدر له الخير.

الثلاثون: إطلاق اسم القرية على المدينة لقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ [الكهف:٧٧]. ثُمَّ قال عنها: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف:٨٢]. وأعظم المدن مكة المكرمة، قال الله عنها: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام:٩٢]. وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ [مُحمَّد:١٣].

الحادي والثلاثون: التعبير بـ"تستطع"، "تسطع" فقبل أن يوضح العبد الصالح لموسى _ ما رآه: من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، كان الإشكال قويًّا شديدًا ثقيلاً فقال: "تستطع" ولما فسر الخضر لموسى _ الأمر وبين له تأويل ما لَم يصبر معه، ووضحه وأزال المشكل قال: "تسطع" بحذف التاء، فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف

بالأخف، كما قال سبحانه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧]. فالصعود سهل، أما نقب الجبل فشيء شاق صعب، فقابل السهل بحذف التاء، ومع الأثقل جاءت التاء.

فالقرآن الكريم معجز، وما أنزل الله إلا بعلمه، ولا يوجد حرف فِي القرآن إلا وله أهميته ومناسبته ومعناه.

الثاني والثلاثون: فِي قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف:٨٢].

وهذه لطمة للجهال الذين زعموا أن الخضر ولي من أوليائهم، وافتروا على الشرع زورًا أن الولي له أن يفعل من المخالفات ما شاء، فمخالفته يثاب عليها فِي زعمهم، فبين القرآن الكريم أن ما فعله العبد الصالح لَم يكن من تلقاء نفسه، أو من رأيه وهواه، بل إنَّما فعل كل ما فعل بتوجيه وأمر من الله تعالى، فما كان له أو لأي عبد صالح أن يفعل شيئًا من تلقاء نفسه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥]. وإذا أمر الله تعالى؛ فأمره هو الخير كله، فأعمال الخضر الَّتِي قام بِها لَم تتجرد

عن الوحي، بل هي ناتجة عن متابعة وتنفيذ لأمر الله ووحيه، فلعل أهل الجهل من الطرقيين يفيقون من غيهم وضلالهم؛ ليعلموا أن الخير كل الخير فِي الاتباع، والشر كل الشر فِي الابتداع.

الثالث والثلاثون: العمل علم يجب الحرص عليه، فهذه الرحلة المباركة فِي طلب العلم لَم يجلس فيها العبد الصالح مجلس وعظ ولا خطابة، ولا محاضرًا لموسى _ ولَم يمل عليه الفوائد والمسائل والدروس والعبر والعظات، بل إن العلم الذي تلقاه موسى _ إنَّما بالمرافقة والملازمة والمصاحبة، فليس العلم هو الكلام فقط، بل تلقى موسى _ علم العمل، وهذا العلم هو الذي نفتقده اليوم، فما أكثر الدروس والمحاضرات والخطب والمواعظ والمؤثرات الوقتية، وما أقل العمل، فخلاصة هذه الرحلة التركيز على علم العمل والاستفادة من لحظات الحياة، والاستمساك بأمر الله ووحيه وتنفيذ أمره، وكما قيل: لفعل رجل فِي ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل.

الرابع والثلاثون: سعة علم الله تعالى، وأنه لا نِهاية له، ولا غاية تحصره؛ ولذلك لما تقابل موسى _ مع العبد الصالح قال له: «يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا

تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه.....، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فِي البحر فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور فِي البحر». الحديث سبق تخريجه.

الخامس والثلاثون: خاتمة هذه الرحلة المباركة درس فِي فهم الصفات، فلقد جاء فِي هذه الرحلة قوله تعالى: ﴿**فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ [الكهف:٧٩]. ﴿**فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا**﴾ [الكهف:٨١]. ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ**﴾ [الكهف:٨٢]. ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَّ**﴾ [الكهف:٧٧]. فالعبد له إرادة، وهم لهم إرادة، والجدار له إرادة، ورب العالمين له إرادة، إلا أن صفة الخالق ليست كصفة المخلوق، فصفة الله الخالق تناسب عظمته وجلاله وكماله وعلوه، أما إرادة العبد فإنَّها تناسب عجزه وضعفه، وفقره ونقصه وافتقاره، وإرادة الجدار تناسب قصوره وسكونه وثباته بإذن ربه، فما بين صفة الخالق وصفة المخلوق كما بين ذات الخالق -جل وعز- وذات المخلوق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، فلا ينبغي أن يخلط العبد بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

أسأل الله أن يجعلنا مسلمين له، موحدين له، إنه على كل

شيء قدير.

FFFFF

قصة قصعة النَّبي S التي يقال لها: الغراء وبيان وجوب اعتقاد أن خير الهدي هدي مُحمَّد S

قال أبو داود فِي سننه (٣٧٧٣): حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي حدثنا أبي حدثنا مُحمَّد بن عبد الرحمن بن عرق حدثنا عبد الله بن بسر قال*:

«كان للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قصعة[١] يقال لَها: الغَرَّاء[٢] يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا[٣] وسجدوا الضحى[٤] أُتيَ بتلك القصعة يعنِي: وقد ثُردَ[٥] فيها، فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا[٦] رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم-: **إن الله جعلني عبدًا كَرِيْمًا ولَم يجعلني جبَّارًا عَنيدًا**. ثُمَّ قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: **كُلوا من**

---

* صحيح: وأخرجه البيهقي فِي الكبرى (٢٨٣/٧) وفي شعب الإيْمان (٧٩/٥) من طريق عمرو ابن عثمان به. وأخرجه ابن ماجه (٣٢٧٥) بنفس إسناد أبي داود لكن باختصار.

حَوالَيهَا[٧] ودعوا ذِروَتَها[٨] يُبارَك فيها[٩])).

الشرح ومعاني المفردات لقصة قصعة النبي S التي تسمى الغراء:

(١) **قصعة:** هي إناء ضخم يكفي لإطعام حوالي عشرة.

(٢) **الغراء:** هي تأنيث الأغر بِمعنى الأبيض الأنور*.

(٣) **أضحوا:** أي دخلوا فِي وقت الضحى، وهو يبدأ بعد شروق الشمس بقليل.

(٤) **سجدوا الضحى:** أي الصلاة الَّتِي تصلى وقت الضحى.

(٥) **ثُرد:** أي وضع فيها الثريد، والثرد: الفتُّ، والثريد ما ثُرد من الخبز**. وقيل: إن الثريد لا يكون إلا من اللحم غالبًا***.

قلت: وهو المشهور فِي مصر باسم: الفَتَّة وهي عبارة

---

* عون المعبود (١٠/١٧٧).

** لسان العرب (٣/١٠٢).

*** النهاية فِي غريب الحديث (١/٢٠٩).

عن أرز، ولحم، وخبز.

(٦) **جثا:** أي جلس على ركبتيه.

(٧) **حواليها:** أي من حول جوانبها، أي يأكل كل واحد مِمَّا يليه من أطراف القصعة.

(٨) **ذروتُها:** أي وسطها وأعلاها.

(٩) **يُبارك فيها:** أي تكثر البركة، والبركة فِي الطعام هي أن طعام الواحد يكفي الاثنين، وكذا ينتفع المرء بالطعام ويشبعه وإن كان قليلاً، عكس الطعام الخالي من البركة، فتأكل منه كثيرًا ولا تشبع ولا ينفعك إلا قليلاً.

الدروس والفوائد من قصة: قصة النبي S التي تسمى الغراء:

الفائدة الأولى: استحباب الاجتماع على الطعام، وأن فيه البركة والألفة والود؛ وأن تكاثر الأيدي على القصعة الواحدة، كلٌّ يأكل من الجانب الذي يليه: يزيل الكبر من النفوس، ويشعر الكل بأنَّهم إخوة متحابون، لا تفاضل بينهم فِي جاه ولا مال، حيث إنَّهم يأكلون من مكان واحد، ليس للغني مكان خاص يرتفع به عن بقية إخوانه.

الفائدة الثانية: استحباب صلاة الضحى، وقد ورد فِي فضلها أحاديث أخرى.

الفائدة الثالثة: قد يُستفاد من هذا الحديث أن الحديث الذي ورد فِي الصحيح: «**إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء** -أي الطعام- **فابدءوا بالعشاء**». إما أن يكون خاصًّا بصلاة الفريضة، أو أن الأمر الوارد فيه معلق بعلة اشتياق النفس للطعام مِمَّا يُذهب الخشوع فِي الصلاة.

الفائدة الرابعة: التأسي بالرسول الكريم -صلى الله عليه

وآله وسلم- فِي تواضعه، ومن التواضع الأكل على الأرض، بل هذا من السُّنة بنص هذا الحديث، ولأحاديث أخرى، ومن أكل على خوان -أي: السُّفرة- فلا يُنكر عليه، لأنه ليس بمحرم، إلا أن يصحب جلوسه للأكل على سفرة نية تقليد أهل الكفر والترف، أو استحقار، سُنة الأكل على الأرض، فهنا يستنكر عليه، وينصح، ويفهم أن خير الهدي هو هدي مُحمَّد -صلى الله عليه وآله وسلم- لو كانوا يعلمون.

الفائدة الخامسة: أن الأكل من أطراف الصحفة أو الطبق أو الصينية، وعدم الأكل من وسطها، هو من أسباب البركة فِي الطعام.

الفائدة السادسة: العادة الَّتِي اعتادها كثير من الأسر المسلمة الَّتِي تأثرت بالغرب الكافر، وهي أن يأكل أفراد الأسرة متفرقين كلٌّ يأكل فِي طبق خاص به، وإن كانوا جالسين على سفرة واحدة، أو فِي مكان واحد على الأرض إلا أنَّهم لا يجتمعون على طبق واحد، إن هذه العادة مخالفة للسنة، وسبب من أسباب قلة البركة فِي الطعام، وتقليل التآلف والمودة بين أفراد الأسرة.

FFFFF

قصة إحياء الله لفرس مجاهد

قال ابن أبي الدنيا فِي "من عاش بعد الموت" (٢٨):

نا إسحاق بن إسماعيل وأحمد بن بجير وغيرهما قالا: نا مُحمَّد بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي*. أن قومًا أقبلوا من اليمن متطوعين فِي سبيل الله فنفق[١] حمار رجل منهم فأرادوا أن ينطلق معهم فأبى، فقام فتوضأ وصلى فقال: اللهم إني جئت من الدثينة[٢] مجاهدًا فِي سبيلك وابتغاء مرضاتك وإني أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من فِي القبور لا تجعل لأحد عليَّ منة، وإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري، ثُمَّ قام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ثُمَّ ركبه فأجراه فلحق بأصحابه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله بعث لي حماري، قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع-أو يباع- بالكناسة[٣].

---

* **صحيح مقطوع:** وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا فِي مجابي الدعوة (٤٩) بنفس الإسناد والمتن.

معاني مفردات قصة إحياء الفرس:

(١) **نَفَق:** أي مات كما فِي المصباح المنير (ص٢٣٦).
(٢) **الدثينة:** اسم مكان.
(٣) **الكناسة:** اسم مكان أو سوق.

الدروس والفوائد من قصة إحياء الله لفرس المجاهد:

أهم فائدة فِي هذه القصة: هي إثبات الكرامة لعباد الله الصالحين، والكرامة بخلاف المعجزة، حيث إن المعجزة خاصة بالرسل والأنبياء فقط.

وأما الكرامة فهي كما قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- فِي شرح العقيدة الواسطية (ص٤٨٠، ط. دار البصيرة):

"الكرامات جمع كرامة، والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد ولي، تأييدًا له، أو إعانة أو تثبتًا أو نصرًا للدين.

فالرجل الذي أحيا الله تعالى له فرسه، وهو صلة بن أشيم، بعد أن ماتت حَتَّى وصل إلى أهله، فلما وصل إلى أهله قال لابنه: ألق السرج عن الفرس، فإنَّها عرية! فلما ألقى السرج عنها، سقطت ميتة، فهذه كرامة لهذا الرجل إعانة له.

أما الَّتِي لنصرة الإسلام، فمثل الذي جرى للعلاء بن الحضرمي ـ فِي عبور ماء البحر، وكما جرى لسعد بن أبي

وقاص ـ فِي عبور نَهر دجلة، وقصتهما مشهورة فِي التاريخ.

فالكرامة أمر خارق للعادة، أما ما كان على وفق العادة، فليس بكرامة.

وهذا الأمر إنَّما يجريه الله على يد ولي، احترازًا من أمور السحر والشعوذة، فإنَّها أمور خارقة للعادة، لكنها تجري على يد غير أولياء الله، بل على يد أعداء الله، فلا تكون هذه كرامة.

وقد كثرت هذه الكرامات الَّتِي تدعى أنَّها كرامات فِي هؤلاء المشعوذين الذين يصدون عن سبيل الله، فالواجب الحذر منهم، ومن تلاعبهم بعقول الناس وأفكارهم".

ثُمَّ قال ـرحمه الله ـ: "فمذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، وهناك مذهب مخالف لمذهب أهل السنة، وهو مذهب المعتزلة ومن تبعهم حيث إنَّهم ينكرون الكرامات، ويقولون: إنك لو أثبت الكرامات لاشتبه الساحر بالولي والولي بالنَّبِي، لأن كل واحد منهم يأتي بخارق".

فيقال: لا يُمكن الالتباس، لأن الكرامة على يد ولي، والولي لا يُمكن أن يدعي النبوة، ولو ادعاها لَم يكن وليًّا، آية النَّبِي تكون على يد نبِي، والشعوذة والسحر على يد عدو

بعيد من ولاية الله، وتكون بفعله باستعانته بالشياطين، فينالها بكسبه، بخلاف الكرامة، فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولي بكسبه.

قال العلماء: كل كرامة لولي، فهي آية للنبي الذي اتبعه لأن الكرامة شهادة من الله سبحانه وتعالى أن طريق هذا الولي طريق صحيح، وعلى هذا، جرى من الكرامات للأولياء من هذه الأمة، فإنَّها آيات لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-" اهـ.

قلت: ولننتبه -رعاكم الله- إلى أن الولاية ليست حكرًا على طائفة معينة من خواص المسلمين مثل آل البيت أو غيرهم كما يعتقد البعض، إنَّما هي عامة فِي كل من دخل فِي الإيْمان، كما قال الله تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:٦٢].

فكل المؤمنين أولياء لله، لكن تختلف درجة ولايتهم على حسب إيْمان كل واحد وتقواه، فالإيْمان والتقوى هما ركنا الولاية، فليس من أولياء الله من يهجر صلاة الجماعة بل والصلوات كلها ويترك السعي والكسب بل وأحيانًا يقترف كثير من المحرمات من زنا وشرب خمر، بحجة أنه قد صار من الأولياء وقد سقط عنه التكليف، فإن مثل هذا من أولياء

الشيطان قطعًا.

وكذا مهما بلغ الإنسان من تقوى وإيْمان وصار بِهذا فِي مرتبة عالية من مراتب الولاية، فلا يعنِي هذا أنه يملك التصرف فِي شئون الكون، أو أن يعتقد أن فيه شيئًا من صفات الألوهية.

وكذلك من أكبر الخرافات المتفشية بين العامة، هو اعتقاد أن هناك ما يسمى بديوان الأولياء، يرأسه أربعة أقطاب، ورئيسة الديوان هي زينب -رضي الله عنها- وأن هذا المجلس هو الذي يدبر شئون الكون، ويناقش حاجات المخلوقين، وهذا هراء عجيب وشرك بالله العظيم. ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:١٧].

وليست الولاية خاصة بالأموات بل هي خاصة بالأحياء المكلفين، فالبعض يعتقد أن الولاية تثبت للعبد الصالح بموته ثُمَّ دفنه بمقام فِي مسجد، هذا هو رسم الولاية عندهم، وهذا الفهم مخالف لنصوص الكتاب والسنة الَّتِي منعت من تعظيم الأموات أو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

فعليكم -رحمكم الله- بالتفقه فِي مسائل التوحيد والعقيدة لتسلموا وتسلِّموا رعيتكم من وبال الشرك والوثنية والخرافة

وتنالوا عفو إلهكم ورحمته الَّتِي لا تصيب مشرك مات على شركه بدون توبة: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

FFFFF

قصة يقين سارة زوج إبراهيم

قال البخاري فِي صحيحه (٢٢١٧): حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ـ قال: قال النَّبِي S: «**هاجر إبراهيم ـ بسارة، فدخل بِها قرية فيها ملك من الملوك، أو جبار من الجبابرة ـفقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي**

من أحسن النساء، فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه الَّتِي معك؟ قال: أختي. ثُمَّ رجع إليها فقال: لا تكذبِي حديثي، فإنِّي أخبرتُهم أنك أختي، والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك، فأرسل بِها إليه فقام إليها، فقامت توضأ وتصلي فقالت: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ الكافر، فغط[1] حَتَّى ركض برجله.

قال الأعرج: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال: **قالت اللهم إن يَمت يقال هي قتلته، فأرسل ثُمَّ قام إليها فقامت توضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ هذا الكافر، فغط حَتَّى ركض برجله.**

قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: **فقالت: اللهم إن يَمت فيقال: هي قتلته، فأرسل فِي الثانية أو فِي الثالثة فقال: والله ما أرسلتم إلَيَّ إلا شيطانًا، أرجعوها إلى إبراهيم، وأعطوها آجر[2] فرجعت إلى إبراهيم _ فقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة)).**

معاني المفردات:

(١) **غط:** قال الفيومي فِي المصباح المنير (ص١٧١، مادة غطط): "غطه فِي الماء غطًّا من باب قتل، غمسه فانغط هو وغطَّ الجملُ يغُط من باب ضرب، غطيطًا صوت فِي شقشقة فإن لَم يكن له شقشقة فهو هدير، وأما الناقة فإنَّها تَهدر، ولا تغط وغط النائم يغط غطيطًا أيضًا تردد نفسه" اهـ.

(٢) **آجر:** أي هاجر.

الدروس والفوائد من قصة يقين سارة:

الفائدة الأولى: نتعلم قوة اليقين من سارة زوج إبراهيم _ واليقين هو لُبُّ الإيْمان، وقد ثبت بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال: "الإيْمان اليقين كله".

الفائدة الثانية: نتعلم أيضًا أن حسن ظن العبد بالله، وحسن رجائه فِي رحمته، هو سبب من أهم أسباب نجاة العبد من المحن والبلايا خاصة إذا بلغ البلاء بالعبد منْزلة الزلزلة، واستيئس العبد وظن أنه هالك لا محالة، فتزداد جذوة الرجاء فِي قلبه، فتبلغ بالإيمان ذروته، مِمَّا يعجل بفرج الله، وهذه سنة من سنن الله.

الفائدة الثالثة: جواز التوسل بالعمل الصالح فِي الدعاء، كما فعلت سارة -رضي الله عنها-.

الفائدة الرابعة: جواز المعاريض، وهي التعريض بالكلام، فيظهر للمعرض عليه وجهًا يتحمله الكلام، ويخفي الوجه الحقيقي، وهذا ليس بكذب، فإن إبراهيم _ تجمعه مع سارة وشيجتان: وشيجة أخوة الإيْمان، ووشيجة النكاح، فسارة أخته فِي الإيْمان كما هي زوجه.

FFFFF

قصة إسلام أبي ذر

قال مسلم فِي صحيحه (٢٤٧٣): حدثنا هداب بن خالد الأزدي حدثنا سليمان بن المغيرة أخبرنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر:

«خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنَزلنا على خالٍ لنا فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا فحسدنا قومه فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس فجاء خالنا فنثا[١] علينا الذي قيل له فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا[٢] فاحتملنا عليها وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي فانطلقنا حَتَّى نزلنا بحضرة مكة فنافر أنيس عن صرمتنا[٣] وعن مثلها فأتيا الكاهن فخير أنيسًا فآتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها قال: وقد صليت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله S بثلاث سنين. قلت لمن قال لله قلت: فأين توجه. قال: أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاءً حَتَّى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء[٤] حَتَّى تعلوني الشمس. فقال

أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق أنيس حَتَّى أتى مكة فراث عليَّ[٥] ثُمَّ جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس. قال: يقولون: شاعر كاهن ساحر وكان أنيس أحد الشعراء قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على إقراء الشعر[٦] فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنَّهم لكاذبون قال: قلت: فاكفني حَتَّى أذهب فأنظر. قال: فأتيت مكة فتضعفت رجلاً[٧] منهم. فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابئ؟ فأشار إلَيَّ فقال: الصابئ فمال عليَّ أهل الوادي بكل مدرة[٨] وعظم حَتَّى خررت مغشيًّا عليَّ. قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر قال: فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حَتَّى تكسرت عُكنُ[٩] بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع قال: فبينا أهل مكة فِي ليلة قمراء أضحيان[١٠] إذ ضرب على أسمختهم[١١] فما يطوف بالبيت أحد وامرأتان منهم تدعوان إسافًا ونائلة[١٢] قال: فأتتا عليَّ فِي طوافهما فقلت: أنكحا إحداهما الأخرى قال: فما تناهتا[١٣] عن قولهما قال: فأتتا عليَّ فقلت: هن مثل

الخشبة[١٤] غير أني لا أكني، فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا قال: فاستقبلهما رسول الله S وأبو بكر وهما هابطان قال: ما لكما؟ قالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها قال: ما قال لكما؟ قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم، وجاء رسول الله S حَتَّى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه ثُمَّ صلى فلما قضى صلاته قال أبو ذر: فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله فقال: **وعليك ورحمة الله**. ثُمَّ قال: **من أنت؟** قال: قلت: من غفار. قال: فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته فقلت فِي نفسي: كره أن انتميت إلى غفار فذهبت آخذ بيده فقد عنى صاحبه وكان أعلم به مني ثُمَّ رفع رأسه ثُمَّ قال: **متَى كنت هاهنا؟** قال: قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم. قال: **فمن كان يطعمك**. قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حَتَّى تكسرت عُكنُ بطني وما أجدُ على كبدي سخفة جوع. قال: **إنَّها مباركة إنَّها طعام طعم**[١٤]. فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لي فِي طعامه الليلة فانطلق رسول الله S وأبو بكر وانطلقت معهما ففتح أبو بكر بابًا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلته بِها ثُمَّ غبرت ما غبرت[١٥] ثُمَّ أتيت رسول الله S فقال: **إنه قد وجهت لي**

أرض ذات نَخل لا أراها إلا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟. فأتيت أنيسًا فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدقت. قال: ما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت فاحتملنا حَتَّى أتينا قومنا غفارًا فأسلم نصفهم وكان يؤمُّهُم إيماءُ بن رحضة الغفاري وكان سيدهم وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله S المدينة أسلمنا فقدم رسول الله S المدينة فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا فقال رسول الله S: **غفار غفر الله لَها وأسلم سالمها الله**».

الشرح ومعاني المفردات لقصة إسلام أبي ذر:

(١) **أي:** أشاعه وأفشاه.

(٢) **فقربنا صرمتنا:** القطعة من الإبل.

(٣) **فنافر أنيس عن صِرمتنا:** قال البعض: المنافرة الْمُحَاكمة، وقال النووي: معنَى نافر عن صِرمتنا وعن مثلها: تراهن

أنيس وآخر أيهما أفضل وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك، فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين فتحاكما إلى الكاهن فحكم أن أنيسًا أفضل وهو معنَى قوله: فخير أنيسًا، أي جعله الخيار، والأفضل. اهـ.

(٤) **كأني خِفاء:** هو كسار زنة.

(٥) **فراث عليَّ:** أي أبطأ.

(٦) **أقراء الشعر:** أي طرقه وأنواعه وأسلوبه.

(٧) **أي:** نظرت إلى أضعفهم، فسألته لأن الضعيف مأمون الغائلة غالبًا.

(٨) هو التراب المتلبد، **وقال الأزهري:** المدر قطع الطين.

(٩) **عُكَن:** جمع عُكنة وهو الطي فِي البطن من السمن، ومعنى تكسرت أي انثنت وانطوت طاقات لحم بطنه.

(١٠) **أي:** منورة مضيئة.

(١١) **أسمختهم:** المراد منها أصمختهم جمع صماخ، أي: آذانِهم.

(١٢) اسما صنمين كانا منصوبين حول الكعبة.

(١٣) **فما تناهتا:** أي لَم تنته تانك المرأتان عن دعائهما لإساف ونائلة.

(١٤) **هن مثل الخشبة:** قال القاضي: الهن والهنة، يعبر بِهما

عن كل شيء وعن العورة، وإنَّما المراد هنا الذكر، وإنَّما أراد هنا سببهما وإغاظة الكفار.

وقيل: أي لهما ذكر مثل الخشبة أي فِي الفرج.

(١٥) **غبرت:** أي بقيت*.

الدروس والفوائد من قصة إسلام أبي ذر:

الفائدة الأولى: الاجتهاد فِي البحث عن الحق من الأسباب الهامة التي أناط الله بها الهداية، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت:٦٩].

الفائدة الثانية: يظهر لنا من هذه القصة: قوة العقيدة الَّتِي كان يتمتع بِها خير جيل جيل الصحابة أمثال أبي ذر، مِمَّا يجعلنا نراجع أنفسنا فِي مخالفة هدي هذا الجيل الفريد الذي يعد هو رأس السلف الصالح، وندرك بيقين أن السلف هم

---

* استفدت هذه المعاني للمفردات من الهوامش الَّتِي كتبها أبو نعمة الله مُحمَّد بن شكري الأنقروي على نسخة صحيح مسلم الَّتِي طُبعت فِي دار السلطنة العلية فِي عهد السلطان الغازي مُحمَّد رشاد خان عام ١٣٣٤هـ "مصورة دار الفكر" وقد جمع هذه الهوامش من شروحات مسلم المختلفة مثل شرح النووي، وإكمال المعلم للقاضي عياض، وإكمال الإكمال للأبي.

أعلم الناس بالكتاب والسنة، لما يتمتعوا به من قوة عقيدة وصبر على حمل هذا الدين وتبليغه، مِمَّا لَم يوجد ولن يوجد فِي غيرهم، فكيف ننبذ فهمهم، ونقول هم رجال ونحن رجال! بل هم الرجال، وهم القوم، فعلى الناقم عليهم أو المفتئت على فهمهم أن يتقي ربه ويسكت عن تمزيق أعراضهم أو التشكيك فِي فضلهم.

فإن لَم تصب فِي القول فاسكت فإنَّما سكوتك عن غير الصواب صواب

الفائدة الثالثة: أن الابتلاء فِي الالتزام بالحق سنة ربانية ماضية، فهذا أبو ذر يُضرب حَتَّى يصير كالنصب الأحمر من الدم، ورغم هذا لَم ينثن عزمه عن الاستمرار فِي رحلته للبحث عن الحق، وهذا من صلابته وقوة يقينه ـ، ولا يعنِي هذا أن المرء يسعى للبلاء بل دائمًا يسأل الله العافية فِي الدين والدنيا، ويشكو إلى الله ضعفه، فنحن لا ندَّعي فِي أنفسنا أننا عندنا القدرة أن نتحمل ما تحمله الصحابة من أذى فِي سبيل هذا الدين، ولكننا نسعى للتشبه بِهم لعلنا نلحق بِهم بحبنا لهم، ولَم يكن من هدي هؤلاء الصحابة إثارة الفتن وإشاعة الهرج بحجة الدعوة وإنكار المنكر كما يفعل بعض هذه الجماعات

والأحزاب الإسلامية*، بل كانت دعوتُهم فِي مرحلة الاستضعاف قائمة على الموعظة الحسنة والدعوة البليغة إلى التوحيد ونبذ عبادة غير الله، فهذا أبو ذر يدعو هاتين المرأتين بالحكمة حيث حاول لفت نظرهما إلى أن هذه الأصنام ليست أهلاً لسماع الدعاء، حيث إنَّها صمَّاء لا تنفع ولا تضر.

الفائدة الثالثة: قول أبي ذر: "هن مثل الخشبة ولكني لا أكني" فيه سبٌّ لآلهة الكفار، وقد جاء النهي عن سب آلهتهم فِي قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام:١٠٨]. ولكن أبا ذر لَم يكن أسلم بعد، وبالطبع لَم تصله الأحكام بعد؛ وقد اختلف العلماء فِي كون هذه الآية محكمة أو منسوخة بآية السيف.

الفائدة الرابعة: جواز استخدام الفحش من القول أحيانًا فِي بيان فحش وبذاءة حال المشركين فِي شركهم بالله العظيم،

---

* التحزب والانتماء الحزبي لطائفة معينة أو جماعة أو حزب محرمان فِي الإسلام، فلا يجوز تكوين حزب أو جماعة داخل بلد أو ولاية إسلامية لَها حاكم مُمَكن، ولو كان هذا الحاكم يخالف الشرع فِي بعض المسائل أو جُلِّها لكن الواجب هو طاعة هذا الحاكم فِي المعروف مع النصح له، ومحاولة الإصلاح بدعوة الناس بالحكمة إلى الخير، وهذا هو الذي صار عليه علماء السلف.

وذلك للتنفير منه وقد ثبت هذا فِي حديث أبي بن كعب أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «**إذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بِهن أبيه ولا تكنوا**»*.

قال أبو المحاسن الحنفي فِي معتصر المختصر (٣٢١/٢) بعد أن ذكر الحديث: "لا يعارض هذا ما رُوي مرفوعًا: «**الحياء من الإيْمان والإيْمان فِي الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فِي النار** -يريد أهله-»**. لأن البذاء المأمور به هو على من يستحقه عقوبة كمن يدعو بدعوى الجاهلية... فجعل -صلى الله عليه وآله وسلم- عقوبة من دعا كذلك أن يقابل بِما ذكر فِي الحديث استخفافًا بالداعي والمدعو إليه لينتهي الناس عن ذلك فِي المستأنف، والبذاء المنهي عنه هو البذاء على من لا يستحق" اهـ.

وقال المناوي فِي فيض القدير (٣٥٧/١): "يقال: اعتزى إليه أي انتسب وانتمى وتعزى كذلك "فأعضوه" أي اشتموه بِهن أبيه أي قولوا له: اعضض بِهن أبيك أو بذكره، وصرِّحوا بلفظ الذكر" ثُمَّ قال: "وخصَّ الأب لأن هتك عورته أقبح" اهـ.

---

* صححه العلامة الألباني -رحمه الله- فِي صحيح الجامع (٥٦٧).
** صححه العلامة الألباني -رحمه الله- فِي صحيح الجامع (٣١٩٩).

FFFFF

قصة رحلة من رحلات أبي حاتم في طلب العلم

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم فِي مقدمة الجرح والتعديل (٣٦٤/١): سمعت أبي يقول: "لَمَّا خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس: أبو زهير المروزي شيخ، وآخر نيسابوري، فركبنا البحر وكانت الريح فِي وجوهنا فبقينا فِي البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا وفني ما كان معنا من الزاد[١] وبقيت بقية فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أيامًا على البر حَتَّى فني ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا وليلة، لَم يأكل أحد منا شيئًا ولا شربنا، واليوم الثاني كمثل اليوم الثالث، كل يوم نمشي إلى الليل فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا، وقد ضعُفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا فسقط الشيخ مغشيًّا عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل[٢] فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين، فضعفت وسقطت مغشيًّا عليَّ ومضى صاحبي

وتركني فلم يزل هو يمشي إذ بصُر من بعيد قومًا قد قربوا سفينتهم من البر ونزلوا على بئر موسى S فلما عاينهم لوَّحَ بثوبه إليهم فجاءوه معهم الماء فِي إداوة فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم: الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشيًّا عليهم.

فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني فقلت: اسقني، فصب من الماء فِي ركوة[٣] أو مشربة[٤] شيئًا يسيرًا، فشربتُ ورجعت إليَّ نفسي[٥] ولَم يروني ذلك القدر، فقلت: اسقني فسقاني شيئًا يسيرًا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ ملقى، قال: قد ذهب إلى ذاك جماعة، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي ويسقيني شيئًا بعد شيء حَتَّى إذا بلغت إلى عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ وأحسنوا إلينا أهل السفينة فبقينا أيامًا حَتَّى رجعت إلينا أنفسنا، ثُمَّ كتبوا لنا كتابًا إلى مدينة يُقال لَها راية إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق[٦] والماء.

فلم نزل نمشي حَتَّى نفد[٧] ما كان معنا من الماء والسويق والكعك فجعلنا نمشي جياعًا عطاشًا على شط البحر حَتَّى وقعنا إلى سلحفاة قد رمى به البحر مثل الترس[٨] فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق ظهره، وإذا فيها مثل صفرة البيض فأخذنا من بعض

الأصداف الملقى على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر نتحساه[٩] حَتَّى سكن عنا الجوع والعطش.

ثُمَّ مررنا وتحملنا حَتَّى دخلنا مدينة الراية وواصلنا الكتاب إلى عاملهم فأنزلنا فِي داره وأحسن إلينا وكان يقدم إلينا كل يوم القرع ويقول لخادمه: هاتي لهم باليقطين[١٠] المبارك، فيقدم إلينا من ذاك اليقطين مع الخبز أيامًا، فقال واحدٌ منا بالفارسية: لا تدعو باللحم المشئوم؟ وجعل يُسمع الرجل صاحب الدار، فقال: أنا أحسن بالفارسية فإن جدتي كانت هروية، فأتانا بعد ذلك باللحم، ثُمَّ خرجنا من هناك وزودنا إلى أن بلغنا مصر".

الشرح ومعاني المفردات لقصة رحلة أبي حاتم في طلب العلم:

(١) **الزاد:** أي الطعام والشراب.
(٢) **لا يعقل:** أي فقد الوعي.
(٣) **ركوة:** هي الإناء.
(٤) **مشربة:** الشيء الذي يُشرب منه مثل الكوب وخلافه.

(٥) **رجعت إلَيَّ نفسي:** أي أفقت واستعدتُ قوتي.

(٦) **السويق:** نوع من أنواع الدقيق.

(٧) **نفد:** أي انتهى.

(٨) **الترس:** هو ما يتستر به المقاتل ويجعله درعًا ضد ضربات وطعنات العدو، يقصد أبو حاتم: أن هذا الحيوان البحري يشبه الترس فِي شكله.

(٩) **نتحساه:** قيل التحسي هو الشرب على مهل، ويطلق كذلك على شرب الطائر من الماء، فيقال: حسا الطائر، أي شرب، لكن لا يقال على الطائر: شرب.

(١٠) **اليقطين:** منه القرع، والبطيخ، وهو كل شجر لا يقوم على ساق، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَأَنْبَتْنَا عَلَيه شَجَرَةً مِن يَقْطِين**﴾ [الصافات:٤٦]. فِي قصة يونس _*.

---

* لسان العرب (٣٤٥/١٣).

الدروس والفوائد من قصة رحلة أبي حاتم في طلب العلم:

أهم درس ممكن أن يستفيده المسلم العادي من مثل هذه القصة: هو أن يُدرك مدى البذل والمشقة الَّتِي عانى منها العلماء فِي سبيل طلب العلم الشرعي: علم الكتاب والسنة، الذي به تحيا القلوب والأبدان، وتنتظم حياة الناس بشريعة ربِّهم فيسعدوا فِي الدنيا والآخرة بإذن الله.

وفي بيان شرف العلم وفضله يقول الإمام برهان الدين الزرنوجي: "وشرف العلم لا يخفى على أحد، إذ هو المختص بالإنسانية، لأن جَميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات، كالشجاعة، والجرأة، والقوة، والجود، والشفقة، وغيرها سوى العلم، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم _ على الملائكة، وأمرهم بالسجود له وإنَّما شرف العلم لكونه وسيلة إلى البر والتقوى الذي به يستحق الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية"*. اهـ

---

* كتاب "تعليم المتعلم فِي طريق التعلم" (ص٣١) للزرنوجي الحنفي.

وأبو حاتم -رحمه الله- هو رأس من رءوس علماء الحديث، وفارس من فرسان هذا العلم الشريف، وعلم الحديث هو العلم الذي جعله الله سببًا فِي حفظ دينه المتمثل فِي القرآن والسنة، وآثار الصحابة، فبه عرفنا تواتر القرآن وصحة أسانيد رواة القراءات المتعددة للقرآن، وكذا عرفنا به السنن الصحيحة عن الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- وكذا ما صح من الآثار والأقوال عن أصحابه -رضوان الله عليهم- الذين هم حملة هذا الدين إلينا، وسبيلهم هو سبيل النجاة.

وهانحن فِي قصتنا نرى رحلة علمية مباركة كاد أن يهلك فيها أبو حاتم وصاحباه فِي سبيل طلب العلم، وفي فضل أصحاب الحديث وبيان بذلهم لحفظ الدين.

يقول الخطيب البغدادي -رحمه الله-:

"فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة، حُرَّاس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين، واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين، فشأنُهم حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار، وركوب البراري والبحار فِي اقتباس ما شرع الرسول المصطفى، لا يُعرِّجُون* عنه إلى رأي ولا

* أي: لا ينحرفون عنه.

هوى. قبلوا شريعته قولاً وفعلاً، وحرسوا سنته حفظًا ونقلاً حَتَّى ثبتوا بذلك أصلها، وكانوا أحق بِها، وأهلها، وكم من ملحد يروم** أن يخلط بالشريعة ما ليس منها، والله تعالى يَذُبُّ*** بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانِها، والقوامون بأمرها وشأنِها.. ﴿أولئكَ حِزْبُ الله أَلاَ إن حِزْبَ الله هُمُ الْمُفلِحُون﴾ [المجادلة:٢٢]****. اهـ

** رام الشيء: أي طلبه "مختار الصحاح ص١١١".

*** أي: يمنع ويدفع.

**** كتاب "شرف أصحاب الحديث" (رقم ١٣).

قصة تكليم السباع للإنس

قال الإمام أحمد فِي مسنده (٣/٨٢، ٨٣): حدثنا يزيد أنبأنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال*:

«عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى[١] الذئب على ذنبه[٢] قال: ألا تتقي الله تنْزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ، فقال: يا عجبي! ذئب مقعٍ على ذنبه، يُكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك! مُحمَّد -صلى الله عليه وآله وسلم- بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حَتَّى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثُمَّ أتى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فأخبره، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فنودي: الصلاة جامعة، ثُمَّ خرج فقال

---

* **صحيح**: وأخرجه الترمذي فِي الجامع (٢١٨١) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل. اهـ، وابن حبان فِي صحيحه (٦٤٩٤)، وابن أبي شيبة فِي مصنفه (٨/٦٦٤)، وعبد بن حميد فِي المنتخب (٨٧٧) من طريق القاسم به.

للراعي: -أخبرهم- فقال رسول -صلى الله عليه وآله وسلم-: **صدق والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حَتَّى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة[٣] سوطه، ويخبره فخذه بِما أحدث أهله بعده**».

الشرح ومعاني المفردات لقصة تكليم السباع للإنس:

(١) **أقعى:** قال ابن قتيبة فِي الغريب (١٨٢/١): "هو أن يقعد الرجل بالأرض على إليتيه وينصب فخذيه كما تفعل السباع والكلاب".

(٢) **ذَنَبه:** أي ذيله.

(٣) **عَذَبة:** أي طرف.

الفوائد والدروس المستفادة من قصة تكليم السباع للإنس:

الفائدة الأولى: ذكر دليل من دلائل نبوة النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

الفائدة الثانية: إن كل الكائنات مفطورة على الإيْمان بربوبية الله، وبالنسبة للكائنات الغير مكلفة فإنَّها وإن كانت لَم يفرض عليها عبادات معينة إلا أنَّها تسبح بحمد الله، كما

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]. لكن هذا التسبيح لا يعني أنها مكلفة.

الفائدة الثالثة: أن الحيوانات لَها لغة مفهومة ولَها شيء من الإدراك، لا نعلم كنهه، عكس ما يعتقد البعض من أن الحيوان والطير ليس لهما أي إدراك إنَّما هي كائنات بكماء أعجمية.

الفائدة الرابعة: إن هذه الحيوانات الَّتِي نحتقرها أفضل من كثير من بني آدم ممن جحدوا نبوة النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- أو شككوا فيها، كما قال الله عن هؤلاء: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان:٤٤].

الفائدة الخامسة: إن الجمادات أيضًا لَها لغة تنطق بِها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب:٧٢].

وكذا قصة بكاء الجذع حنينًا على فراق النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- له، وهذه الأجهزة الحديثة المصنوعة من مواد صماء يصدر منها أصوات ما كان الإنسان يتخيلها، وقد تكون عذبة السوط، الَّتِي تكلم الرجل هي عبارة عن جهاز لاسلكي مثل أجهزة الاستخبارات الحديثة ذات الحجم

الصغير الَّتِي يُمكن أن توضع فِي مثل طرف هذا السوط، وبِهذا ندرك ضلال بعض هؤلاء المنكرين أو المتأولين لبعض أخبار أشراط الساعة أو الآخرة لمجرد أنَّها لا توافق المعهودات العقلية فِي زمانِهم على حسب فهمهم الكاسد.

الفائدة السادسة: جواز رواية الأكابر عن الأصاغر، حيث حدث النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- فِي هذا الحديث عن هذا الأعرابي، وهذا مثال ثاني عزيز على هذه القاعدة الحديثية، بخلاف مثال حديث تميم الداري وإخباره عن الدجال وتحديث النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- عنه ما قصه عليه من شأن الدجال، ولَم أر أحدًا من أهل العلم قد استشهد بِهذا الحديث كدليل على هذه القاعدة، فالحمد لله على ما يسر ووفق.

قصة عجب الله من صنيع أحد الأنصار بضيفه

قال مسلم فِي صحيحه (٢٠٥٤)*: حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير بن عبد الحميد، حدثا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: إني مجهود[١] فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثُمَّ أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حَتَّى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم-: **من يضيف هذا الليلة رحمه الله**. فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله[٢] فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال فعَلِّلِيهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حَتَّى تطفئيه قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: **قد عجب الله**

* وأخرجه البخاري فِي صحيحه (٤٤٨٩) من طريق أبي أسامة عن فضيل به.

من صنيعكما بضيفكما الليلة)).

وفي رواية البخاري: ((**لقد عجب الله** سبحانه وتعالى **أو ضحك من فلان وفلانة فأنزل الله** سبحانه وتعالى: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بِهم خصاصة**﴾)).

معاني المفردات:

(١) **مجهود:** أي أصابني الإعياء والتعب الشديد من أثر الجهد والمشقة.

(٢) **رحله:** الرحل: مسكن الرجل يصحبه من الأثاث، والرحل أيضًا رحل البعير وهو أصغر من القتب، والجمع رحال. "مختار الصحاح".

(٣) **فَعَلِّيهم بشيء:** فِي مختار الصحاح: "علَّله بالشيء تعليلاً: أي لهاه به كما يعلِّل الصبي بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن، يقال: فلان يعلِّل نفسه، أي: يلهيها.

(٤) **أهوي:** من الهويِّ، وهو السقوط، والمقصود أي أقبل على الأكل.

(٥) **باتا طاويين:** يعنِي ناما بغير طعام، من طوي البطن، وجاء فِي رواية البخاري: "نوِّمي أطفالك وتعالي فأطفئي

السراج ونطوي بطوننا الليلة" أي: لا نأكل شيئًا.

الفوائد:

الفائدة الأولى: خلق الْمُواساة وبذل العون اللذان تخلق بِهما النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- ظهرا فِي بداية هذا الحديث، عندما اشتكى إليه الرجل إصابته بالجهد، مِمَّا استدعى الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يرسل إلى كل أبياته يسألهم عن طعامٍ لهذا الرجل.

الفائدة الثانية: المبادرة إلى إكرام الضيف، حيث إن هذا الرجل يُعد ضيفًا، وصار له الحق فِي طلب الضيافة، وهكذا كان حال الخليل إبراهيم S حينما جاءته الملائكة فِي صورة بشر، فظنهم ضيوفًا: ﴿**فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾ [هود:٦٩].

الفائدة الثالثة: ظهور ضيق الحال والفقر الشديد الذي كان يحيا فيه النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- مع أزواجه كلهن، حَتَّى يصل الأمر أن لا يوجد فِي أبياته -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا الماء، ورغم هذا كان أكرم الناس وأكثرهم إحسانًا وعطاءً، ويدل هذا أيضًا على البساطة

والتواضع السائدين فِي بيت النبوة.

الفائدة الرابعة: تأسي النساء بأزواج النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- فِي رضاهن بشظف العيش وقلة الطعام، وعدم إيذاء الزوج بقبيح الكلام أو غمزه بِما لا يليق إذا كان قصير اليد فِي الإنفاق مِمَّا عليه حال كثير من نساء هذا العصر - هداهن الله- وكذلك عدم استنكافهن عن التصريح بِما لديهن فِي بيوتِهن من زاد وهو الماء فقط، وكثير من النسوة يعتقدن أنه من العيب أن يصرحن أمام الضيف بعدم وجود ما يقدم له، وإذا كان عندهن القليل، وقال زوجها الصالح المتواضع: قدمي ما عندك ولا تتكلفي، تقول له: أتريد أن تفضحنا؟ وتلح عليه بتكلف إحضار شيء يليق -بزعمها- أن يقدم للضيف، وإن كانت هذه المرأة من طالبات العلم الشرعي المتعالمات تجدهن يحتججن بأحاديث إكرام الضيف من أجل التكلف للضيف. وهذا من جهلهن بأن الأحاديث الآمرة بإكرام الضيف مقيدة بقول سلمان ـ: "نُهينا عن التكلف للضيف".

وهذا هو ظاهر هدي النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- فِي هذا الحديث، حيث لَم يثقل كاهله ويتكلف ما لا يطيق حتى يُكرم ضيفه، بل كان يريد تقديْم ما عنده مِمَّا تيسر فِي أبياته، فلما لَم يجد إلا الماء، وكان الرجل مجهودًا متعبًا فكان

من المواساة وحسن البذل أن لا يدعه هكذا، بل يبحث له عما يسد حاجته، وبما أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- هو ولي أمر المسلمين وإمامهم، لذا كان يسهل عليه أن يطلب هذا من أحد رعيته، وهذا أيضًا من تواضعه -صلى الله عليه وآله وسلم-.

الفائدة الخامسة: وظهر أيضًا خلق المواساة والإيثار من هذا الصحابي الجليل وزوجه، وضربا أروع الأمثلة بصنيعهما مع هذا الضيف، مِمَّا استدعى عجب الله سبحانه من هذا.

الفائدة السادسة: حسن طاعة زوجة هذا الصحابي له ـ، والتزامها بتعظيم أمره، لما أمرها بإلهاء صبيانِها عن الطعام، حَتَّى يقدموه للضيف، ولَم نسمعها تقول له: أتريد أن تأخذ طعامي وطعام أولادي لتطعم ضيفك.

الفائدة السابعة: من الفوائد أيضًا: إظهار سنة الاجتماع على الطعام.

الفائدة الثامنة: إثبات صفة العجب لله سبحانه، وهي من صفاته سبحانه وتعالى الفعلية الَّتِي إن شاء فعلها، وإن شاء لَم يفعلها.

وعقيدة الصحابة -رضوان الله عليهم- والسلف الصالح فِي صفات الله: هي إثبات ما أثبته الله لنفسه فِي الكتاب والسنة، ونفي ما نفاه عن نفسه سبحانه من النقائص

والعيوب، بغير تحريف هذه الصفة عن معناها المعلوم فِي اللغة العربية، أو تأولها بِمعنى مرجوح، أو تفسيرها بلازم من لوازمها مِمَّا هو ليس معنَى لَها، أو اعتقاد مماثلة الله لخلقه فِي هذه الصفة، إن كانت من الألفاظ المشتركة الَّتِي قد تطلق على بعض المخلوقين.

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- فِي شرحه على العقيدة الواسطية (ص٣٠٧) (ط. دار البصيرة):

"العجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين:

السبب الأول: خفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى، لأن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء فِي الأرض ولا فِي السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره، وعما ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب، بحيث تعمل عملاً مستغربًا لا ينبغي أن يقع من مثله، وهذا ثابت لله تعالى، لأنه ليس عن نقص من المتعجب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجب منه" اهـ.

FFFFF

قصة حديث النواس في ذكر الدجال وخروج يأجوج ومأجوج ونزول عيسى -

أخرجه مسلم فِي صحيحه (٢٩٣٧): بأسانيده إلى النواس بن سمعان الكلابي قال: „ذكر رسول الله S الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفع[١] حَتَّى ظننناه فِي طائفة النخل فقال: **غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج حلة[٢] بين الشام والعراق، فعاث[٣] يَمينًا وشَمالاً يا عباد الله فاثبتوا[٤]**. قلنا: يا رسول الله، وما لبثه فِي الأرض؟ قال: **أربعون يومًا: يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم.** فقلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **لا، اقدروا له قدره[٥]**. قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه فِي الأرض؟ قال: **كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له. قال: فيأمر السماء فتمطر، والأرض**

فتنبت، وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثُمَّ يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين[٦] ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويَمر بالخربة فيقول لَها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[٧]، ثُمَّ يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثُمَّ يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك، فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فنَزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[٨] واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان[٩] كاللؤلؤ فلا يحل بكافر يجد نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حَتَّى يدركه باب لد فيقتله، ثُمَّ يأتي عيسى _ قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتِهم فِي الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى _ أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز[١٠] عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿وَهُم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦]. فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرها فيقولون: لقد كان بِهذه مرة ماء ويحضر نبِي الله عيسى وأصحابه حَتَّى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبِي الله عيسى وأصحابه فيرسل النغف[١١] فِي رقابِهم فيصبحون فرسى[١٢] كموت نفس واحدة، ثُمَّ يهبط نبِي الله عيسى

وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم[١٣] ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت[١٤] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثُمَّ يرسل الله مطرًا لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حَتَّى يتركها كالزلقة[١٥]، ثُمَّ يقال للأرض: أنبتي ثَمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك الله فِي الرسل أي اللبن حَتَّى إن اللقحة[١٦] من الإبل لتكفي الفئام[١٧] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٨] من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذ بِهم تحت آباطهم فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)).

الشرح ومعاني المفردات لقصة حديث النواس:

وسوف أسرد كلام القرطبي فِي التذكرة فِي بيان ما وقع من الغريب فِي هذه القصة حيث إنه قد استوفى هذا الشأن

وأجاد فِي جمع ما يتعلق بمعانيه*:

(١) **قوله "فخفض ورفع -بتخفيف الفاء-":** أي: أكثر من الكلام فيه، فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد، وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان، وهذه حالة المكثر فِي الكلام، وروي بتشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير.

(٢) **وقوله: "إنه خارج حلة"** -يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة- قاله الهروي، والخلة موضع حزن وضجور، والحلة ما بين البلدين.

وقال الحافظ ابن دحية: ورواه هامان والحميدي حله بفتح الحاء المهملة وضم اللام وكأنه يريد حلوله، قال: وقرأت فِي أصل القطيعي من مسند الإمام أحمد بن حنبل وأنه يخرج حيله، ولا أعلم روى ذلك أحد غيره، وقد سقطت هذه اللفظة لأكثر رواة مسلم وبقي الكلام أنه خارج بين الشام والعراق.

وجاء فِي حديث الترمذي أنه يخرج بخراسان، وفي الرواية الأخرى: من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية، وفي حديث ابن ماجه ومسلم بين الشام والعراق.

ووجه الجمع: أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية

---

* وانظر أيضًا كتابي: "المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم _" من كلام القرطبي فِي التذكرة. (ص٣٦-٣٩).

أصبهان، ثُمَّ يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام، والله أعلم.

(٣) **وعاث:** بالعين المهملة والثاء المثلثة والتنوين على أنه اسم فاعل، وروي بفتح الثاء على أنه فعل ماض، ووقع فِي حديث أبي أمامة على الفعل المستقبل، والكل بِمعنى الفساد عاث يعيث عيثًا فهو عاث عثى يعثي، عثى يعثو لغتان، وفي التنْزيل: ﴿**وَلاَ تَعْثَوا فِي الأَرضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [البقرة:٦٠].

(٤) **وقوله: "يا عباد الله فاثبتوا"** يعنِي: على الإسلام يحذرهم من فتنته لأنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت.

(٥) **وقوله: "فاقدروا له قدره".**

قال القاضي عياض: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عن الأوقات المعروفة فِي غيره من الأيام.

قلت: وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضًا ما حكمه صاحب الشرع، وقد حمل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها، وإنَّما هي محمولة على المعنى أي يهجم عليكم غمٌّ عظيم لشدة البلاء وأيام البلاء طوال، ثُمَّ يتناقص ذلك الغم فِي اليوم الثاني ثُمَّ يتناقص فِي اليوم الثالث، ثُمَّ يعتاد البلاء كما يقول الرجل: اليوم عندي سنة،

ومنه قولهم:

وليل الْمُحب بلا آخر

وقال آخر:

وأيام لنا غرٍّ طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

وهذا القول يرده قولهم: «أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: **لا، اقدروا له قدره**».

والمعنى: قدروا الأوقات للصلوات، وكذلك لا التفات لطعنه فِي صحة هذه الألفاظ، أعني قوله: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره. فقال: هذا عندنا من الدسائس الَّتِي كادنا بِها ذووا الخلاف علينا، ولو كان صحيحًا لاشتهر على ألسنة الرواة كحديث الدجال، ولو كان لقوي اشتهاره ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربِها.

الجواب: أن هذه الألفاظ صحيحة حسب ما ذكره مسلم وحسبك به إمامًا، وقد ذكرها الترمذي من حديث النواس أيضًا وقال: حديث حسن صحيح، وخرجها أبو داود أيضًا وابن ماجه من حديث أبي أمامة، وقاسم بن أصبغ من حديث جابر، وهؤلاء أئمة أجلة من أئمة الحديث، وتطرق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز والثقة بعيد لا يلتفت إليه لأنه يؤدي إلى القدح فِي أخبار الآحاد، ثُمَّ إن ذلك

فِي زمن خرق العادات وهذا منها.

(٦) **وقوله: "ممحلين"** أي: مجدبين، ويروى: أزلين، والمحل والأزل والقحط والجدب بِمعنى واحد.

(٧) **ويعاسيب النحل:** فحولها، وأحدها يعسوب، وقيل: أمراؤها.

ووجه التشبيه: أن يعاسيب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة من النحل فتراها جماعات فِي تفرقة، فالكنوز تتبع الدجال كذلك.

(٨) **وقوله: "بين مهرودتين"** أي: بين شقي ثوب، والشقة نصف الملاءة أو فِي حلتين مأخوذ من الهرد بفتح الهاء وسكون الراء وهو الشق والقطع.

قال ابن دريد: إنَّما سمي الشق هردًا للإفساد لا للإصلاح.

وقال يعقوب: هرد القصار الثوب، وهردته بالتاء والمثناة باثنتين من فوق إذا أحرقه وخرقه.

وقال أكثرهم: فِي ثوبين مصبوغين بالصفرة وكأنه الذي صبغ بالهرديء، ووقع فِي بعض الروايات بدل مهرودتين ممصرتين كذلك، ذكره أبو داود الطيالسي من حديث أبي هريرة.

والممصرة من الثياب: هي المصبوغة بالصفرة، والجمان:

ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيه واقع وليست بالمشبعة.

وقال ابن الأنباري: مهرودتان بدال مهملة وذال معجمة معًا أي: ممصرتين كما جاء فِي الحديث الآخر.

وقال غيره: الهرود الذي يصبغ بالعروق الَّتِي يقال لَها: الهرد بضم الهاء.

وقال الهروي: هرد ثوبه بالهرد وهو صبغ يقال له: العروق.

وقال القتبي: إن كان المحفوظ بالدال فهو مأخوذ من الهرد، والهرد والهرت: الشق ومعناه بين شقين، والشقة نصف الملاءة.

وقال: وهذا عندي خطأ من النقلة، وأراد مهرودتين أي صفراوين يقال: هرتُّ العمامة ألبستها صفرًا وكان الثلاثي منه هروت، فخالف الجماعة من أهل اللغة فيما قالوه.

وقد خطأه ابن الأنباري وقال: إنَّما يقول العرب: هريت الثوب لا هروت ولو كان من ذلك لقيل: مهراة لا مهروة، واللغة نقل ورواية لا قياس، والعرب إنَّما تجوز ذلك فِي العمامة خاصة لا فِي الشقة ولا يجوز قياس الشقة على العمامة.

وأما رواية الذال المعجمة: فهو إبدال من الدال المهملة فإن الذال والدال قد يتعاقبان فيقال: رجل مدل بالدال المهملة ومذل بالذال المعجمة إذا كان قليل اللحم خفي الشخص.

(٩) **والجمان:** ما استدار من اللؤلؤ والدر شبه قطرات العرق بمستدير الجوهر، وهو تشبيه حسن.

(١٠) **وقوله: "فحرز عبادي إلى الطور"** أي: ارتحل بِهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم، والطور: الجبل بالسريانية.

قال الحافظ ابن دحية: قيدناه فِي صحيح مسلم: جوز بالجيم والواو والزاي كذا قيدنا فِي جامع الترمذي وقيدناه أيضًا حدر بدال مهملة، فأما حرز فهو الذي رواه أكثرهم وصحح بعضهم رواية حدر وكلاهما صحيح، لأن ما خير فقد أحرز وكذلك جوز بالجيم، وأما حدر بدال مهملة فمعناه أنزلهم إلى جهة الطور من حدرت الشيء فانحدر إذا أرسلته فِي صبب وحدر.

(١١) **والنغف:** جمع نغفة وهي الدود الذي يكون فِي أنوف الإبل والغنم.

(١٢) **وفرسى:** أي: هلكى وهو جمع فريس يعنِي مفروس مثل قتيل وقتلى وصريع وصرعى وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أي قتلها كأن تلك النغف فرستهم. ويُروى

فيصبحون موتى.

(١٣) **والزهم:** النتن.

(١٤) **والبخت:** إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام.

(١٥) **والزلقة:** المصففة الممتلئة والجمع زلف.

قال ابن دحية: قيدناه فِي صحيح مسلم بالفاء والقاف وهو المرآة، كذا فسره ابن عباس وقاله اللغويان: أبو زيد الأنصاري وأبو العباس الشيباني.

(١٦) **واللقحة:** الناقة الحلوب.

(١٧) **والفئام:** الجماعة من الناس.

(١٨) **والفخذ:** دون القبيلة وفوق البطن.

الفوائد والدروس من قصة حديث النواس:

الفائدة الأولى: بيان حرص النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- على تحذير أمته من الأخطار الَّتِي قد تداهمهم، وإرشاده إلى سبل النجاة منها، فهو بِهم رءوف رحيم، لذا من قسا قلبه حَتَّى أبغض مثل هذا النَّبِي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- ولَم يهتم بتعظيم أمره ، واستخف بسنته، فالنار أولى به إن لَم يتب ويراجع قبل الممات.

الفائدة الثانية: إن سلاح الطائفة المنصورة والفرقة الناجية: أصحاب الحديث والأثر المشهور إلى يوم القيامة هو الحديث وآثار السلف، به يجابِهون كل الفتن والأهواء، وبه يظلون ظاهرين إلى قيام الساعة، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، فلولا الحديث ما علمنا كيف نتقي هذا الدجال، حيث بيَّن لنا الحديث أن سبيل دفع شره هو قراءة فواتح سورة الكهف عليه، وكذلك بيَّن لنا أهم ما يميزه من الصفات الخلقية وكل هذا لَم يأت بيانه فِي القرآن؛ فيا تعاسة من فصل بين القرآن والسنة وجعل بينهما حاجزًا، فتجده

متكئًا على أريكته، يقول بلسانٍ متعالِم: دعونا من السنة فإنَّها ليست موثقة ويكفينا القرآن فإنه محفوظ، وهذا جهل وعماية، حيث إن الله لما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. عنى بالذكر: القرآن والسنة فكلاهما محفوظ بحفظ الله.

الفائدة الثالثة: جواز قول: "الله خليفتي على ... فلان" ومنه فِي دعاء السفر: «**أنت الصاحب فِي السفر والخليفة فِي الأهل** ...». أما قول البعض: "الإنسان خليفة الله فِي الأرض" فهذا ليس عليه دليل صحيح، ومعناه باطل فإن الله لا يخلفه أحد، فإنه سبحانه يخلف ولا يُخلف، كما أنه يعطي ولا يُعطَى ويُطعم ولا يُطعم.

الفائدة الرابعة: فقه الصحابة، وحرصهم على ما ينفعهم، وينفع المؤمنين، بسؤالهم أولاً عن فترة مكث الدجال فِي الأرض، وثانيًا لما علموا أنه يمكث يومًا كسنة ويومًا كشهر ويومًا كجمعة، ارتاعوا لشأن الصلاة، وكيف تؤدى فِي هذه الأيام الغير معهودة، وهذا بخلاف حال بعض المسلمين الذين اتخذوا الفقه فِي أحكام الكتاب والسنة وراءهم ظهريًّا، واعتبروها آخر شيء ممكن أن يُسأل عنه، حيث إنَّهم ظنوا -وبئس الظن- أنَّهم إذا أدوا ما كُلفِوا به من عبادات وأوامر

على أي وجه كان، فهو -إن شاء الله- مقبول على حد قولهم، رافعين -بلا فهم- شعارات ورايات هي: "إن الدين اليسر"، و"ربنا يتقبل" و"مادام نيتك خالصة لله، فتعبد الله بأي طريقة" إلى آخر هذه الشعارات الَّتِي بعضها حق لكنه يوضع فِي غير موضعه، فإن الدين يسر ليس فوضى، يُسر فِي أحكامه وتشريعاته، ليس يسرًا فِي ترك السؤال عن أحكامه، فهذا يُسمى إهمالاً لا يسرًا، وإني لأعجب من احتجاج بعض العامة بِهذا الحديث الصحيح: «**إن الدين يسر**». فِي نقيض ما وضع له، فإنَّهم يحتجون به فِي ترك الدين أو فِي فعل ما يشاءون منه، بأي طريقة، وفي أي وقت حسب ما يروق لهم بلا ضابط ولا رابط، وهذا فهم عكسي للحديث، فإن معنَى الحديث: إن ما شرعه الله من تكليفات كلف بِها العباد إنَّما شرعها على وجه يصلح لشمول كل المكلفين كل على حسب ما أوتي من وسع ومقدرة.

فمن أمثلة يسر الدين: الترخيص للمريض أن يصلي قاعدًا أو نائمًا على جنب، والترخيص للابس الخفين أو الجوربين أن يمسح عليهما حال الوضوء إذا كان قد لبسهما بعد وضوء سابق، والترخيص للمضطر أن يأكل من لحم الميتة أو أن يشرب خمرًا، إذا عُدم غيرهما من الطعام والشراب.

ومن يسر الدين: تحريم الشرك والمحرمات كبيرها وصغيرها، لما فيها من ضرر على المرء فِي الدنيا والآخرة.

بل ومن يسر الدين: أن شرع للرجل أن يؤدب امرأته بالضرب أحيانًا إذا هي نشزت عليه أي ارتفعت عن طاعته فِي المعروف، وقد يعجب البعض من ضربي هذا المثال كمثال على يسر الدين، لكن من فقه حال النساء وعلم أن بعضهن أحيانًا لا يصلح معهن إلا هذه الوسيلة حَتَّى يستقمن على طاعة الزوج القيم على البيت فتنصلح البيوت وينشأ الأبناء فِي كنف نظام حكيم، يعرف فيه كلّ دوره، وهذا يسر على الزوجة والأبناء، وأحيانًا يكون الدواء كريهًا، لكن من المحن تأتي المنح.

ومن يسر الدين: قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن إلى آخر الحدود الشرعية الَّتِي تحفظ أمن البلاد والعباد، إلى آخر الأمثلة التي ليس لَها حصر.

وليس من يسر الدين: الجهل بالدين أو تمييع أحكامه.

فليس من اليسر: دعاء غير الله مِمَّن لا يستجيب دعاء، ولا يسمع نداءً خفيًّا أو استغاثة قلبية.

وليس من اليسر: ترك الذكر المكلَّف صلاة الجماعة فِي

المسجد بلا عذر شرعي من مرض وخوف.. إلخ.

وليس من اليسر: عدم إيتاء الزكاة أو عدم إعطائها على الوجه المشروع من ناحية الكمية ووقت الأداء.

وليس من يسر الدين: الإحداث فيه وابتداع عبادات ما تعبد بِها خير العباد -صلى الله عليه وآله وسلم- فليس من اليسر الاحتفال بالموالد.

وليس من اليسر: ذكر الله بلفظ الجلالة المفرد "الله الله ... " أو الضمير المفرد: "هو هو..." أو الرقص فِي حلقات الذكر.

وليس من اليسر: انخلاع المرأة من خمارها وجلبابِها، واستبدالهما بقطعة قماش زاهية اللون تحكم رباطها على رأسها، وبنطال رجال تجسم به مفاتنها، ثُمَّ تزعم أنَّها بِهذا سترت نفسها، وتردد بجهل "إن الدين يسر" بل هذا هو العسر إن كن عالمات متفقهات... وليس من اليسر... وليس من اليسر أمور عديدة قلبنا فيها الموازين فصار اليسر عسرًا، والعسر يسرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لكن ليس لي أن أردد قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح:٥-٦]. ولن يغلب عسر يسرين.

الفائدة الخامسة: وجوب الإيْمان باليوم الآخر، وما يدل

عليه من علامات وأشراط، على حسب ما جاءت به النصوص من تفصيلات، وهذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

وهناك فوائد أخرى عديدة لا يتسع المقام لسردها كلها، فإنَّها قد تحتاج إلى مؤلف خاص، والله المستعان.

FFFFF

قصة الجساسة

وأخرج مسلم فِي صحيحة (٢٩٤٢) من حديث فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- أنَّها قالت*: قال رسول الله S: «**أتدرون لِمَ جمعتكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم قال: **إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكنني جمعتكم لأن تَميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًّا فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال**[١]. **حدثني أنه ركب فِي سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بِهم الموج شهرًا فِي البحر ثُمَّ أرفأوا**[٢] **إلى جزيرة فِي البحر حيث مغرب الشمس قال: فجلسوا فِي أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب**[٣] **كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر**».

وفي رواية الترمذي: «**أن ناسًا من أهل فلسطين ركبوا سفينة فِي البحر فجالت بِهم حَتَّى قذفتهم فِي جزيرة من جزائر البحر، فإذا هم بدابة لباسة ناشرة شعرها، فقالوا: من أنت؟ قالت: أنا الجساسة**»[٤].

---

* وأخرجه الترمذي فِي الجامع (٢١٧٩)، وأبو داود فِي سننه (٣٧٦٧) وابن ماجه (٤٠٦٤). وقد سقت القصة من سياق القرطبِي لَها فِي التذكرة، حيث أجاد فِي جمع رواية مسلم مع رواية السنن.

وذكر الحديث.

راجع سياق مسلم: «**فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فِي الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا**[٥] **منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعًا حَتَّى دخلنا الدير فإذا هو أعظم إنسان رأيناه خلقًا وأشد وثاقًا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد**، وقال الترمذي: **فإذا رجل موثق بسلسلة**».

وفي رواية أبي داود: «**فإذا الرجل يجر شعره مسلسلاً فِي الأغلال ينْزو فيها بين السماء والأرض. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم. قالوا: نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم**[٦] **فلعب الموج بنا شهرًا، ثُمَّ أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فِي أقربِها، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندري ما قُبُلهُ من دُبُره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. فقلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل فِي الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها وما نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان**».

وقال الترمذي: الذي بين الأردن وفلسطين: «**قلنا: عن أي شأنِها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا له: نعم، قال:**

أما أنَّها يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: عن أي شأنِها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماؤها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر[٧] قالوا: عن أي شأنِها تستخبر؟ قال: هل فِي العين ماء وهل يزرع أهلها بِماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبِي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بِهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك هو خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني أنا المسيح الدجال، وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج فأخرج فأسير فِي الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فِي أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليَّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف مصلتًا[٨] يصدني عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونَها)).

قال رسول الله S -وطعن بمخصرته فِي المنبر-: ((**هذه طيبة** -يعنِي: المدينة- **ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟** فقال الناس: نعم. **قال: فإنه أعجبني حديث تميم الداري فإنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة، إلا أنه فِي بحر الشام وبحر اليمن لا بل من قبل المشرق وما هو[٩] من قبل المشرق،** وأومأ بيده إلى

المشرق». قال: حفظت هذا من رسول الله S.

الشرح ومعاني المفردات لقصة الجساسة:

(١) **فِي الديباج (٦/٢٦٤): قال النووي:** هذا معدود فِي مناقب تميم لأن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- روى عنه هذه القصة وهو من رواية الأكابر عن الأصاغر.

(٢) **أي:** الجئوا.

(٣) **أهلب:** غليظ الشعر كثيرة.

(٤) **الجساسة:** قال ابن الأثير فِي النهاية (١/٢٧٢): "وإنَّما سميت بذلك لأنَّها تجس الأخبار للدجال" اهـ.

(٥) **أي:** خفنا.

(٦) **أي:** هاج وجاوز حده المعتاد.

(٧) بلدة معروفة فِي الجانب القبلي من الشام.

(٨) **أي:** مسلولاً.

(٩) **قال القاضي عياض فِي إكمال المعلم (٨/٥٠٢):** عن قوله: "ما هو" أن لفظة "ما" زائدة صلة للكلام ليست بنافية، والمراد إثبات أنه فِي جهة المشرق.

الدروس والفوائد من قصة الجساسة :

الفائدة الأولى: ذكرها النووي فِي شرحه على صحيح مسلم (٦٩/١٨) "وهي خاصة برواية النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- عن تميم الداري، فقال: "هذا معدود فِي مناقب تميم لأن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- روى عنه هذه القصة، وفيه رواية الفاضل عن المفضول، ورواية المتبوع عن تابعه، وفيه قبول خبر الواحد" اهـ.

الفائدة الثانية: استفاد بعض أهل العلم من هذا الحديث أن ابن صياد ليس هو الدجال، حيث إنه كان فِي المدينة حينما رأى تميم الدجال موثقًا فِي هذه الجزيرة، وهو استدلال قوي، وهذا لا يمنع أن يكون ابن صياد أيضًا أحد الدجاجلة لكن ليس الدجال الكبير.

الفائدة الثالثة: إقرار النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- لقاعدة تقوية الرواية بتعدد رواتِها، حيث إنه عضد حديثه عن الدجال بحديث تميم.

الفائدة الرابعة: الرد على الماديين الذين يعتقدون عقيدة فاسدة فِي شأن الدجال ونزول المسيح _ ألا وهي أن هذه

رموز، وليست حقيقة، فبعضهم يقول: إن الدجال هو رمز لهذه الحضارة الغربية الزائفة، وما تحويه من اختراعات حديثة وشهوات فاتنة فتنت الناس، وخيلت لهم أن حضارتَهم هي الجنة، وأن العيش فِي كنف أحكام الإسلام الرجعية - على حد قولهم- أو قل: كفرهم، هو النار، فيزعمون أن هذه هي جنة الدجال وناره، وهذا -بلا شك- تأويل فاسد نابع من قلة فقه وضعف إيْمان بالغيب؛ فاستفدنا من رؤية تميم ومن معه للدجال موثقًا فِي سلاسل، أنه رجل له صفات البشرية، وليس شيئًا معنويًّا أو مجرد رمز.

الفائدة الخامسة: تصريح الدجال بمعرفته بنبوة النَّبِي - صلى الله عليه وآله وسلم- وعدم إنكاره لَها، ورغم هذا فهو كافر، مِمَّا يدلك على أن معرفة القلب وحده لا تكفي فِي إثبات الإيْمان، بل يجب أن يصحبها التصديق الجازم الذي هو علم القلب، مع الانقياد لهذا النَّبِي ومحبته وتعظيمه بلا غلو، وهذا هو عمل القلب، والقول بأن الإيْمان هو المعرفة فقط هو قول الجهمية، وهو من أخبث الأقوال؛ فالإيمان كما نص عليه علماء السلف قاطبة. هو إقرار القلب المشتمل على علمه وعمله، وإقرار اللسان، والعمل بالجوارح.

الفائدة السادسة: أن الدجال رغم عظم فتنته وادعائه

الألوهية، إلا أنه فِي حقيقة أمره مقهور مربوب لا يستطيع أن يخرج من قيده ليبث فتنته إلا بأمر الله، فلا ينبغي لمؤمن أن ينخدع به، وبمن هو أقل منه من دجاجلة المقامات والأضرحة.

الفائدة السابعة: إثبات فضيلة مكة والمدينة، وما حباهما الله به من حفظ ورعاية، مِمَّا يجعل المرء منا يكون حريصًا على العيش بأحدهما إن تمكن، حَتَّى إذا خرج الدجال أمن فتنته الَّتِي تعد أعظم فتنة تشهدها الأرض -أعاذنا الله منها بفضله ومنه إنه سميع قريب-.

الفائدة الثامنة: تعيين مكان خروج الدجال، وقد ورد فِي نصوص أخرى تعيين خروج الدجال، وظاهرها التعارض، وهي:

أولاً: حديث النواس بن سمعان فِي صحيح مسلم (٢٩٣٧) وفيه: «**إنه** -أي الدجال- **خارج خلة بين الشام والعراق**».

قال النووي فِي شرحه على مسلم: "هكذا فِي نسخ بلادنا: "خَلَّة" بفتح الخاء المعجمة واللام، وتنوين الهاء.

وقال القاضي: المشهور فيه "حَلَّة" بالحاء المهملة، ونصب التاء يعنِي غير منونة.

قيل: معناه سَمْت ذلك وقُبالته، وفي كتاب العين: الحَلَّة موضع حزن وصخور.

قال: ورواه بعضهم "حَلَّهُ" بضم اللام وبِهاء الضمير أي: نزوله وحلوله.

قال: وكذا ذكره الحميدي فِي الجمع بين الصحيحين.

قال: وذكره الهروي "خَلة" بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين، وفسره بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود فِي نسخ بلادنا، وفي الجمع بين الصحيحين أيضًا ببلادنا، وهو الذي رجحه صاحب نِهاية الغريب، وفسره بالطريق بينهما" اهـ.

وقد روي هذا أيضًا فِي حديث أبي أمامة الباهلي الذي أخرجه نعيم ابن حماد فِي الفتن (١٣١٩) وابن أبي عاصم فِي الآحاد والمثاني (١٢٤٩).

ثانيًا: حديث أبي بكر الذي تقدم تخريجه وإسناده حسن وفيه: «**يخرج من أرض بالمشرق يقال لَها: خراسان**». وهذا هو الثابت هنا إلا أنه لَم يحدد خروجه من المشرق بخراسان.

ثالثًا: أخرج عبد الرزاق فِي مصنفه (٢٠٨٣٠) ومن طريقه نعيم ابن حماد فِي الفتن (ص٣٦٥) عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: «يخرج الدجال من العراق». وهذا

صحيح مقطوع.

رابعًا: ورد هذا فِي أثر أخرجه ابن أبي شيبة فِي مصنفه (٤٩٦/٧)، ونعيم بن حماد فِي الفتن (ص٣٦٥) قالا: ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي قيس عن الهيثم ابن الأسود، قال: "قال لي عبد الله بن عمرو، وهو عند معاوية: تعرفون أرضًا قبلكم يقال لَها: كُوثى كثيرة السباخ؟ قلت: نعم، قال: منها يخرج الدجال".

وهذا إسناد لا بأس به، أبو القيس اسمه: عبد الرحمن بن ثروان وهو مختلف فيه، فقد وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صالح وليَّنه، وقال النسائي: لا بأس به، وكذا قال أحمد، وفي مرة أخرى قال: هو كذا وكذا وأشار بيده، وهذا توهين منه له، لكن للأثر شاهد أخرجه أيضًا ابن أبي شيبة فِي مصنفه (٥٠٠/٧)، ونعيم بن حماد فِي الفتن (١٥٠٠) قالا: ثنا وكيع عن سفيان عن أبي المقدام عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: "الدجال يخرج من كوثى" وهذا إسناد صحيح وهو موقوف على عبد الله، وعبد الله ليس ابن عمرو، لكنه ابن مسعود لأن زيدًا لا تعرف له رواية عن ابن عمرو.

وفي أخبار مكة للفاكهي (٢٨١/٢): "قال بعض المكيين: من أسمائها -أي: مكة- كوثى". وفي معجم ما

استعجم من أسْماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري الأندلسي (١١٣٨/٤): "كُوثى بضم أوله وبالثاء المثلثة مقصور على وزن فعلى وهي بالعراق معلومة وهي المدينة الَّتِي ولد فيها إبراهيم _، قال الخطابي: يقال لَها كُوثى ربى ، بفتح الراء المهملة بعدها باء معجمة بواحدة مفتوحة ثُمَّ ياء، وكوثى أخرى بمكة وهي محلة بني عبد الدار" اهـ. وانظر كذا الفائق (١٢٦/١)، (٢٨٥/٣) للزمخشري، وتاريخ بغداد (٢٨٧/١)، ولسان العرب (١٨١/٢).

قصة سجود الشمس تحت العرش لله سبحانه وتعالى ثم طلوعها من المغرب في آخر الزمان

قال مسلم فِي صحيحه (١٥٩): حدثنا يَحيى بن أيوب وإسحاق بن إبراهيم جميعًا عن ابن علية، قال ابن أيوب: حدثنا ابن علية حدثنا يونس عن إبراهيم بن يزيد التيمي سمعه -فيما أعلم- من أبيه عن أبي ذر ـ*. أن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال يومًا: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **إن هذه تجري حَتَّى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلاتزال كذلك، حَتَّى يقال لَها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثُمَّ تجري حَتَّى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولاتزال كذلك حَتَّى يقال لَها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثُمَّ تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حَتَّى تنتهي**

---

* وأخرجه البخاري فِي صحيحه مختصرًا فِي موضعين (٤٨٠٣، ٧٤٣٣) من طريق الأعمش عن إبراهيم به.

إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لَها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربِها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: **أتدرون متَى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًا إيْمانُها لَم تكن آمنت من قبل أو كسبت فِي إيْمانِها خيرًا)).**

الفوائد والدروس المستفادة من قصة سجود الشمس تحت العرش:

الفائدة الأولى: إثبات عظمة خلق العرش حيث إن الشمس -وهي بالنسبة إلينا مخلوق عظيم- تسجد تحت العرش لله سبحانه، وبالفعل إن اعتقاد أهل السنة فِي العرش أنه أعظم المخلوقات على الإطلاق، وأنه بخلاف الكرسي الذي هو موضع القدمين، كما ثبت هذا فِي الأثر عن ابن عباس، وأبي موسى وله حكم الرفع.

الفائدة الثانية: عدم الأمن من مكر الله، والإسراع بالتوبة من الذنوب قبل أن تطلع الشمس من مغربِها، ويُغلق باب التوبة.

الفائدة الثالثة: الإيْمان بالغيب، وعدم الالتفات لأصحاب البدع من أفراخ المعتزلة العصريين، الذين حرفوا الكلم عن مواضعه بعقولهم ولبَّسوا على الناس إيمانَهم بالغيب بتشكيكهم فِي هذه الغيبيات.

فعلى سبيل المثال: قد طعن مُحمَّد رشيد رضا -رحمه الله-

فِي تفسيره "المنار" فِي إسناد هذا الحديث ومتنه بغير حجة ولا بينة، جريًا على منهجه الذي أخذه من شيخه مُحمَّد عبده فِي تحكيم العقل على بعض الغيبيات الَّتِي لا تدركها عقولنا القاصرة، وتأويلها أو إنكارها بزعم أنَّها تخالف العقل، وهذا أصل من أصول المعتزلة الذي فارقوا به منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

أما طعنه فِي إسناده: فقد زعم أن إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي هو الراوي عن أبي ذر ـ وهو ثقة لكنه مدلس وقد عنعنه عن أبي ذر كما زعم، وهو خطأ بين، فرواية مسلم المطولة المذكورة أعلاه، وكذا رواية البخاري المختصرة كلاهما من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر، وجاء إثبات سماع إبراهيم من أبيه فِي رواية مسلم.

وأما استنكاره لمتنه: فمردود أيضًا لأن سجود الشمس تحت عرش الله سبحانه لا يلزم منه أن يكون مثل سجود بني آدم المعهود، فكل مخلوق مربوب يسجد للرب سبحانه طوعًا أو كرهًا بكيفية توافق صفة خلقه مِمَّا يعلمه الله سبحانه، وهذا شبيه بالتسبيح فكل الخلائق تسبح بحمد الله بكيفيات مختلفة لا يعلمها، كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء:٤٤].

واختلف فِي المراد بجريان الشمس لمستقر لَها على قولين ذكرهما ابن كثير فِي تفسيره لسورة يس (٣/٧٤١):

فقال: "أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مِمَّا يلي الأرض فِي ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش وجميع المخلوقات لأنه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة وإنَّما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مِمَّا يلي رءوس الناس، فالشمس إذا كانت فِي قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش، فإذا استدارت فِي فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما تكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن فِي الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث.

ثُمَّ قال: "والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني..." اهـ.

قلت: الآية تحتمل القولين فقوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس:٣٨]. لفظ عام يدخل فيه المستقر المكاني والزماني، وانظر - رحمك الله- إلى استنباط وفقه علماء السلف الصالح الذين

ساروا على درب الصحابة، وكيف أنَّهم لَم يطلقوا لعقولهم العنان فِي النصوص المعصومة الثابتة عن الله عز وجل، وعن نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- الَّتِي تخبر عن غيب لا تراه عيونَهم ولا تدركه عقولهم، فحازوا الإيْمان الصحيح والعقل السديد، بخلاف هؤلاء اللاعقلانيين الذين خربوا النصوص الغيبية بعقولهم العاجزة عن إدراك كنهها، فلم يتأدبوا مع الله بتعديهم بجهل منهم أو هوى على ما اختص به سبحانه نفسه من علم الغيب وعلم كنهه، ولا أعرف كيف غاب عن عقولهم أن الإيْمان بالغيب والتسليم بِما ورد به من أخبار عن المعصوم -صلى الله عليه وآله وسلم- هو خصيصة من أهم خصائص الإيْمان الَّتِي يميز الله بِها بين الصادق والكاذب، فسبحان علام الغيوب!.

FFFFF

قصة الختام

ونختم هذه الرحلة المباركة بين قصص ماتعة وآثار هادية حول مسائل اعتقادية ومنهجية، برحلة خروج الروح من البدن عند موته، ثُمَّ رجوعها إليه مرة أخرى عند دفنه فِي قبره، ليتم سؤال القبر، وبعده يكون العذاب أو النعيم على الروح والبدن، ويكون بينهما اتصال وانفصال بكيفية لا نعلمها، وقد جاءت هذه القصة فِي حديث البراء الطويل، وهذا نصه:

قال البراء بن عازب ـ: «خرجنا مع النَّبِي S فِي جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد، فجلس رسول الله S مستقبل القبلة وجلسنا حوله، وكأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به فِي الأرض، فجعل ينظر إلى السماء، وينظر إلى الأرض، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثًا، فقال: **استعيذوا بالله من عذاب القبر.** مرتين أو ثلاثًا، ثُمَّ قال: **اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر.** ثُمَّ قال: **إن العبد المؤمن إذا كان فِي انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن**

من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حَتَّى يجلسوا منه مد البصر، ثُمَّ يجيء ملك الموت _ حَتَّى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة -وفي رواية: المطمئنة- اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء، فيأخذها -وفي رواية: حَتَّى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فِي السماء، وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم- فإذا أخذها لَم يدعوها فِي يده طرفة عين حَتَّى يأخذوها فيجعلوها فِي ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بِها فلا يَمرون -يعنِي: بِها على ملأٍ من الملائكة- إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه الَّتِي كانوا يسمونه بِها فِي الدنيا، حَتَّى ينتهوا بِها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء الَّتِي تليها، حَتَّى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله سبحانه وتعالى: اكتبوا كتاب عبدي فِي عليين، ثُمَّ يقال: أعيدوه إلى الأرض، فإني وعدتُهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض وتعاد روحه فِي جسده، قال: فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار

فينتهرانه، ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله S فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت فينتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي مُحمَّد S فينادي منادٍ فِي السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له فِي قبره مد بصره، قال: ويأتيه -وفي رواية: يمثل له- رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا فِي طاعة الله، بطيئًا فِي معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثُمَّ يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال: هذا منْزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما فِي الجنة قال: رب عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال له: اسكن. قال: وإن العبد الكافر -وفي رواية: الفاجر- إذا كان فِي انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة،

نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثُمَّ يجيء ملك الموت حَتَّى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فِي جسده فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فِي السماء، وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها، لَم يدعوها فِي يده طرفة عين حَتَّى يجعلوها فِي تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بِها، فلا يَمرون بِها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه الَّتِي كان يسمى بِها فِي الدنيا، حَتَّى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثُمَّ قرأ رسول الله S: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾. فيقول الله سبحانه وتعالى: اكتبوا كتابه فِي سجين، فِي الأرض السفلى، ثُمَّ يقال: أعيدوا عبدي إلى الأرض فإني وعدتُهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحًا حَتَّى تقع فِي جسده ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. فتعاد روحه فِي جسده،

قال: **فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول فِي هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: مُحمَّد! فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فيقال: لا دريت، ولا تلوت، فينادي منادٍ من السماء أن: كذب، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حَتَّى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه -** وفي رواية: ويمثل له- **رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمت إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرًّا، ثُمَّ يقيض له أعمى أصم أبكم فِي يده مرزبة، لو ضرب بِها جبل كان ترابًا، فيضربه ضربة حَتَّى يصير بِها ترابًا، ثُمَّ يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثُمَّ يفتح له باب من النار، ويمهد من فرش النار، فيقول: رب لا تقم الساعة))*.**

---

* **صحيح**: أخرجه أحمد فِي مسنده (٢٨٧/٤)، وابن أبي شيبة فِي مصنفه (٥٥/٣)، وابن مندة فِي الإيْمان (١٠٦٤) والسنة لعبد الله بن أحمد =

الدروس والفوائد من قصة الختام:

أجلِّ فائدة من هذه القصة الخاتمة هي الإيْمان الجازم بثبوت عذاب القبر ونعيمه، وإليك معضدات من الكتاب والسنة لهذه العقيدة الثابتة:

أولاً: من القرآن:

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ

(١٤٣٨)، وهناد فِي الزهد (٣٣٩)، وابن المبارك في الزهد (١٢١٩)، والطيالسي فِي مسنده (٧٥٣) والروياني فِي مسنده (٣٩٢) والقزويني فِي أخبار قزوين (٦٢/١)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- فِي كتابه "أحكام الجنائز" ومنه نقلنا سياق الحديث، حيث إن الشيخ -رحمه الله- قام بجمع كل روايات الحديث فِي نسق واحد، واضعًا كل زيادة فِي موضعها كعادته فِي كثير من كتبه فتتم الفائدة فجزاه الله خيرًا وأحسن إليه على ما قدم لطلاب العلم وعامة المسلمين.

ونسأل الله العلي العظيم الحي القيوم بأسْمائه الحسنى وصفاته العليا أن تكون روح الشيخ الآن طيرًا فِي أعلى عليين مع أرواح الصدِّيقين تسرح فِي الجنة حيث شاءت وأن يلحقنا بِهذا الركب المبارك فِي جنات النعيم فِي عافية، ويرفع درجتنا بفضله ومنه فِي الجنة إلى درجات النبيين والصديقين والشهداء بحبنا لهم واقتفائنا آثارهم وسيرنا على دربِهم إنه جواد كريم.

سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥-٢٧].

وكما فِي قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور:٤٦].

هو عذاب القبر لأن الله سبحانه وتعالى قد ذكر العذاب عليهم بعد قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور:٤٥].

ثانيًا: من السنة:

عن أنس ـ أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتًا ففزع، فقال: **من أصحاب هذه القبور؟**. قالوا: يا رسول الله ناس ماتوا فِي الجاهلية، فقال: **تعوذوا بالله من عذاب القبر، ومن فتنة الدجال**. قالوا: ومم ذاك يا رسول الله؟ قال: **إن المؤمن إذا وضع فِي قبره أتاه ملك، فيقول له: ما كنت تعبد؟ فإن هداه الله قال: كنت أعبد الله، فيقال: ما كنت تقول فِي هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما يسأل عن شيء غيرها، فينطلق به إلى بيت كان له فِي النار، فيقال له: هذا بيتك**

كان فِي النار، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتًا فِي الجنة فيقول: دعوني حَتَّى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر إذا وضع فِي قبره أتاه ملك فينتهره ويقول: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري كنت أقول كما يقول الناس، فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين»*.

قال أبو سعيد الخدري ـ: «كنا فِي جنازة مع النَّبِي S فقال: **يأيها الناس إن هذه الأمة تبتلى فِي قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال: ما تقول فِي هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن مُحمَّدًا عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، فيفتح له باب إلى النار فيقول له: هذا منْزلك لو كفرت بربك، وأما الكافر والمنافق فيقول له: ما تقول فِي هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دريت ولا تليت ثُمَّ يفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا منْزلك لو آمنت بربك، فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا، ثُمَّ يفتح له باب إلى النار،**

---

* **حسن**: أخرجه أحمد فِي مسنده (٣/٢٣٣) قال: ثنا عبد الوهاب ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعًا به، وأبو داود (٤٧٥١) من طريق عبد الوهاب به، وعبد الوهاب هو ابن عطاء الخفاف أبو نصر، لا بأس به وهو أعلم الناس بسعيد كما قال أحمد وقد روى عنه قبل الاختلاط، والحديث صححه العلامة الألباني -رحمه الله- فِي صحيح الجامع (١٩٣٠) والصحيحة (١٣٤٤).

ثُمَّ يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين».

قال بعض أصحاب رسول الله S: ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله S: «﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾».

عن أبي هريرة ـ قال: قال النَّبِي S: «إن الميت إذا وضع فِي قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإذا كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثُمَّ يؤتى من يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثُمَّ يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثُمَّ يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أخذت للغروب، فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حَتَّى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وما تشهد عليه؟ فيقول:

** صحيح: صحيح البخاري (١٣٦٩).

مُحمَّد، أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثُمَّ يفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثُمَّ يفسح له فِي قبره سبعون ذراعًا وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته فِي النسيم الطيب وهي طير يعلق فِي شجرة الجنة، قال: فذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وذكر فِي الكافر ضد ذلك إلى أن قال: **ثُمَّ يضيق عليه فِي قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنك الَّتِي قال تعالى:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٤]))*.

---

* حسن: أخرجه ابن أبي شيبة فِي مصنفه (٥٦/٣) والطبري فِي تفسيره (٢١٦/١٣) من طريق يزيد بن هارون عن مُحمَّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موقوفًا عليه، وأخرجه هناد فِي الزهد (٣٣٨) عن عبدة، وابن حبان فِي صحيحه (٣١١٣) عن معتمر بن سليمان، والطبراني فِي الأوسط (٢٦٣٠) عن حماد بن سلمة، والبيهقي فِي الاعتقاد (٢٢١/١) عن عبد الوهاب بن عطاء، كلهم عن مُحمَّد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وله شاهد من حديث جابر، أخرجه ابن أبي عاصم فِي السنة (٨٦٧) وابن حبان فِي صحيحه (٣١١٦)، وفي إسناده علة، وهي ضعف أبي بكر بن عياش، أحد رواته، فِي الأعمش خاصة، وهو من روايته عنه هنا، وفيه أيضًا عنعنة الأعمش.

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- فِي كتابه الروح (ص٦٥):

"وهذا يتضح بجواب المسألة، وهي قول السائل هل عذاب القبر على النفس والبدن أو على النفس دون البدن؛ أو على البدن دون النفس؟ وهل يشارك البدن النفس فِي النعيم والعذاب أم لا؟

وقد سئل شيخ الإسلام -أي: ابن تيمية- عن هذه المسألة، ونحن نذكر لفظ جوابه فقال: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة.

وتنعم وتعذب -أي: الروح- متصلة بالبدن والبدن متصل بِها فيكون النعيم والعذاب عليهما فِي هذه الحال مجتمعين، كما تكون الروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام.

وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث.

قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان، لكن يقولون: لا يكون ذلك فِي البرزخ،

وإنَّما يكون عند القيام من القبور، لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن فِي البرزخ فقط، ويقولون: إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة فِي البرزخ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معًا، وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم، وهو اختيار ابن حزم وابن مرة.

فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة؛ بل هو مضاف إلى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة، ويثبت معاد الأبدان والرواح، ولكن هؤلاء لهم فِي عذاب القبر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على الروح فقط.

الثاني: أنه عليها وعلى البدن بواسطتها.

الثالث: أنه على البدن فقط، وقد يضم إلى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة، ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقًا.

فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ: قول من يقول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنَّما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبي بكر وغيره، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل.

وقد خالف أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره، بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنَّها منعمة أو معذبة، والفلاسفة الإلهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابَها بدون الأبدان، وكلا القولين خطأ وضلال، لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام، وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام.

والقول الثالث الشاذ: قول من يقول: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، بل لا يكون ذلك حَتَّى تقوم الساعة الكبرى، كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم، مِمَّن ينكر عذاب القبر ونعيمه، بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال فِي أمر البرزخ، لكنهم خير من الفلاسفة فإنَّهم مقرون بالقيامة الكبرى.

فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فِي نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة

البدن منعمة أو معذبة، وأنَّها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثُمَّ إذا كان يوم القيامة الكبرى، أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى" اهـ.

ثُمَّ قال -رحمه الله- فِي (ص٧٣):

"وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة، قال المروزي: قال أبو عبد الله: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.

وقال ابن حنبل: قلت لأبي عبد الله فِي عذاب القبر فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بِها ونقر بِها كلها جاءت عن النَّبِي -صلى الله عليه وآله وسلم- بإسناد جيد، أقررنا به، إذا لَم نقر بِما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾ [الحشر:٧]. قلت له: وعذاب القبر حق؟ قال: حق يعذبون فِي القبور، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نومن بعذاب القبر ومنكر ونكير، وأن العبد يسأل فِي قبره، فـ: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم:٢٧]. فِي القبر، وقال أحمد بن القاسم، قلت: يا أبا

عبد الله نقر بذلك ونقوله، قلت: هذه اللفظة تقول: منكر ونكير هكذا، أو نقول: ملكين، قال: منكر ونكير، قلت: يقولون ليس فِي الحديث منكر ونكير، قال: هو هكذا، يعنِي أنَّهما منكر ونكير.

وأما أقوال أهل البدع والضلال، فقال أبو الهذيل والمريسي: من خرج عن سمة الإيْمان، فإنه يعذب بين النفختين، والمسألة فِي القبر إنَّما تقع فِي ذلك الوقت، وأثبت الجبائي وابنه والبلخي عذاب القبر، ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم، وقال كثير من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير، وإنَّما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل والنكير تقريع الملكين له.

وقال الصالحي: عذاب القبر يجري على المؤمن من غير رد الأرواح إلى الأجساد، والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح، وهذا قول جماعة من الكرامية*.

---

* **الكرامية:** هي فرقة مبتدعة تنسب إلى أبي عبد الله مُحمَّد بن كرام النيسابوري، قال عنه السمعاني فِي الأنساب (٦٠/١١): "وأبو عبد الله من أهل نيسابور، ثُمَّ أزعج عنها وانتقل إلى بيت المقدس، وسكنها، ومات بِها، يروي عن مالك بن سليمان الهروي، روى عنه مُحمَّد بن إسماعيل بن إسحاق، وحكى عنه =

وقال بعض المعتزلة: إن الله سبحانه يعذب الموتى فِي قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بِها، قالوا: وسبيل المعذبين من

= الزهد والتقشف أشياء، ومن المذاهب أشياء من التشبيه والتجسيم" اهـ. أي أنه القائل بتشبيه صفات الله بخلقه، وسنبين فِي تعليق لاحق -إن شاء الله- ضلال هذا القول، والكرامية هي إحدى فرق المرجئة القائلين: إن الإيْمان إقرار باللسان فقط، فإن أقر المرء بالشهادتين بلسانه، وإن اعتقد الكفر بقلبه، فهو عندهم مؤمن كامل الإيْمان، فأدخلوا المنافقين فِي المؤمنين، والله ﷻ يقول عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧]. وقد استشرى داء هذه الفرقة الخبيثة فِي عامة المسلمين فِي عصرنا هذا حَتَّى أفسد دينهم، فأصبح طغام الناس وجهالهم يتركون كثير من الفرائض من صلاة وزكاة وغيرها، ويقعون فِي كثير من الكبائر مثل الزنا وشرب الخمر والربا وبالطبع لا يبالون بالمعاصي الأخرى الَّتِي قد تكون دون الكبائر مثل شرب الدخان، ومشاهدة النساء المتبرجات فِي جهاز الفساد المسمى بـ"التلفاز"، ويدمنون سماع اللغو والكذب المسمى بالأفلام والتمثيليات، وسماع الأغاني والموسيقى -وإن كان إدمان هذه المعاصي والإصرار عليها قد يصيرها كبائر عند الله- وقد اطمأنوا أنَّهم ماداموا ينطقون بالشهادتين فقد أتوا بالإيمان الكامل، ولا يعلمون أن هذه الذنوب تنقص الإيْمان نقصًا شديدًا، هذا إذا وقع فيها مع اعتقاده تحريمها، أما إذا استحلها بقلبه أي اعتقد أنَّها حلال فهذا ينقض الإيْمان بالكلية، فلنحذر من هذه الفرقة الضالة، ولنلزم أصحاب الحديث والسنة، -الفرقة الناجية- القائلين أن الإيْمان اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فنجتنب هذه المعاصي الَّتِي تنقص إيْماننا وتعرضنا لعذاب الله.

الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه لو ضربوا لَم يجدوا الآلام، فإذا عاد إليهم العقل أحسوا بألم الضرب، وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسًا، مثل ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل، وهو قول المريسي، فهذه أقوال أهل الحيرة والضلالة، ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات، وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لَم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حَتَّى صار رمادًا ونسف فِي الهواء أو صلب أو غرق فِي البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور". اهـ